رياض الأزهار

في معاني الألفاظ الشرعية والأدعية والأذكار

تأليف

د. محمد يسري سلامة

دار التوحيد للتراث



رياض الأزهار
في معاني الألفاظ الشرعية
والأدعية والأذكار

تأليف
د. محمد يسري سلامة



الإسكندرية





الإسكندرية

الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

رقم الإيداع:

جمهورية مصر العربية . الإسكندرية . الورديان

بجوار مسجدي أبي بكر الصديق وناصر السنة

هاتف رقم: ٠١٢٤٠٦٠٠٤٥

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ به من شرورِ أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا. مَنْ يهدِهِ الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛

فهذا تصنيفٌ مختصر، جمعتُه وانتخبتُه مِن كلام أئمة اللغة، وأصحابِ التفاسير، وشُرّاحِ الحديث الشريف، وغيرِهم من أهل العلم في بيان شيءٍ مِن الألفاظ والكلمات والتراكيب التي يتكلم بها الناسُ ويستعملونها في أدعيتهم وصلواتهم ومخاطباتهم ومحاوراتهم وكتاباتهم وغيرِ ذلك؛ من دون علمٍ بمعانيها، أو إدراكٍ لتوجيهاتها في لغة العرب.

فأردتُ لهذا الكتابِ أنْ يكون مقدمةً إلى معرفة هذه المعاني الرائقة الشريفة وما فيها من الفوائد والمهمات، ولم أقصد الإحاطة والاستيعاب ولا أدَّعيهما، بل ما تركتُه أكثرُ مما أثبتُّه؛ خوفَ الإطالة والإملال، مقتصرًا على ما رأيتُه أَوْلى من غيره، أو ما يغني شرحه وتفسيره عما هو مُشاكِلٌ له ومماثل، ولعل الله تعالى -بمَنّه وكرمِه- يُعين على وضع تصنيف مطوَّلٍ موعِبٍ في هذا الباب.

والغرضُ الرئيسُ مِن تأليفه: ترغيبُ طلبة العلم مِن أصحاب النهج السلفيّ القويم في العناية بالعربية تعلُّمًا وتعليمًا، وقراءةً ودرسًا؛ عملاً بوصيةِ أهل العلم في الحضِّ على ذلك الشأن والإقبال عليه؛ إذ كان المنتسب إلى هذا النهجِ أولى الناس بمعرفةِ لغة القرآن، ولسانِ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -، ولسانِ صحابته

الأماثل، وسائر الأئمة الأعلام الأفاضل، وإنّ البراعة والحذق بسائر فنونها وأنواعها كالواجبِ المتعيّنِ على مَن شدا طرفًا من العلم وطلبه.

وكيف لا يكون هذا والذي لا يُحسن العربية، ولا يقرأ شعرَها وأدَبها، ولا يطّلع على أسرارها فاتَه شيءٌ كثير من فَهْم القرآن، وتذوّقِ حلاوته، وإدراكِ بلاغته، ومِن فقهِ حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وحكمتِه، ولم ينهض إلى تمثّلِ ما في الكتاب والسنّة وكلام سلف الأمّة مِن المعاني في واقع حاله، وأورثه ذلك غلظةً في القلب، وبلادةً في الذهن، ولا أبالغ إنْ قلت: رقةً في الدين، واعوجاجًا في السلوك، نعوذ بالله من ذلك.

وقد نصَّ العلماءُ قديمًا وحديثًا على كون علوم العربية مِن أشرف العلوم وأعلاها وأفضلِها، وأنّ تعلّمَها واجبٌ على المشتغل، لازمٌ للمترقّي في درجات الفقه؛ فبها يُتوصّل إلى فهم كلام الباري جل وعلا، وكلامِ رسوله – صلى الله عليه وسلم –، وهي مدخلٌ وآلةٌ لازبةٌ في سائر العلوم الشرعية، لا يُستغنى عنها في تلك العلوم بفروعها وأنواعها. يقول أبو منصور الثعالبيّ – رحمه الله[1]: «والعربيةُ خيرُ اللغات والألسنة، والإقبالُ على تفهمها من الدِّيانة؛ إذ هي أداةُ العلم ومِفتاحُ التفقه في الدين، وسببُ إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة وسائر المناقب كالينبوع للماء، والزَّنْد للنار. ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها وتصاريفها، والتبحُّرِ في جلائلها ودقائقها إلا قوةُ اليقين في معرفةِ إعجاز القرآن، وزيادةُ البصيرة في إثبات النبوة الذي هو عمدة الإيمان لكفى بها فضلاً يحسن أثره، ويطيب في الدارين ثَمَرُه».

(١) «فقه اللغة» للثعالبيّ: ص (٢) ط القاهرة (١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م).

وأمّا وجوب معرفتها فيقول ابن عبد البرّ[1] في تبيانه: «فمن الواجب على من لا يعرف اللســـانَ الذي أنزل به القرآن؛ وهي لغة النبي - صلى الله عليه وسلم - أنْ يأخذَ مِن علم ذلك ما يكتفي به، ولا يستغني عنه حتى يعرفَ تصاريفَ القول وفحــواه، وظاهرَه ومعناه. وذلك قريبٌ على مَن أحبَّ علمَه وتعلُّمَه، وهو عونٌ لــه على علم الدِّين الذي هو أرفع العلوم وأعلاها، به يُطاع الله ويُعبد، ويُشــكر ويُحمَد».

وقال أبو المعالي الجويني[2]: «معظم الكلام في الأصول يتعلّق بالألفاظ والمعاني. وأمّا الألفاظ فلابدَّ من الاعتناء بها؛ فإنَّ الشريعة عربية، ولن يَستكمل المرءُ خُلالَ الاستقلال بالنظرِ في الشرع ما لم يكن ريَّانًا مِنَ النحوِ واللغة».

ويقول شـيخ الإسـلام ابن تيمية[3] مُفصِّلاً ذلك: «إنَّ الله لَمّا أنزل كتابَه باللســان العربيّ، وجعل رسوله مبلغًا عنه الكتابَ والحكمةَ بلسانه العربي، وجعل الســابقين إلى هذا الدين مكتملين به، لم يكن سبيلٌ إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، وصارت معرفته مِن الدين».

وقــال أيضًا[4]: «فإنَّ نفسَ اللغة العربية مِن الدين، ومعرفتها فرضٌ واجب؛ فإنَّ فهمَ الكتاب والســنة فــرض، ولا يفهمُ إلا بفهم اللغــة العربية، وما لا يتمُّ الواجــبُ إلا به فهو واجب. ثم منها ما هو واجــب على الأعيان، ومنها ما هو واجب على الكفاية».

---

(١) في «جامع بيان العلم وفضله» (١٠٣٩/٢)

(٢) في «البرهان» (١٦٩/١)

(٣) في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢٠٦/١)

(٤) في «الاقتضاء» (١٦٢/١)

ويقول الزمخشريُّ في هذا المعنى: «وذلك أنهم لا يجدون علمًا من العلوم الإسلامية؛ فقهها، وكلامها، وعلمَي تفسيرها وأخبارها - إلا وافتقاره إلى العربية بيّنٌ لا يُدفع، ومكشوفٌ لا يتقنّع .. وبهذا اللسان مُناقَلَتُهم في العلم، ومحاورتهم وتدريسهم ومناظرتهم، وبه تقطُر في القراطيس أقلامُهم، وبه تَسطر الصكوكَ والسجلات حكّامُهم، فهم ملتبسون بالعربية أية سبيلٍ سلكوا، غير منفكين عنها أينما وجّهوا، كَلٌّ عليها حيث سُيّروا».

وقال الجلال السيوطيُّ - رحمه الله -[1]: «ولا شكَّ أن علم اللغة من الدين، لأنه من فروض الكفايات، وبه تُعرَف معاني ألفاظِ القرآن والسنة. أخرجَ أبو بكر ابن الأنباريّ في كتاب «الوقف والابتداء» بسنده عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، قال: لا يُقْرئ القرآنَ إلا عالمٌ باللغة. وقال الفارابيُّ في خطبة «ديوان الأدب»: القرآن كلام الله وتنزيلُه، فصَّل فيه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، وما يأتون ويذرون، ولا سبيل إلى علمه وإدراك معانيه إلا بالتبحُّر في علم هذه اللغة» اهـ.

ومَنْ أهملَ هذا العلمَ الواجبَ يوشك أنْ يقع فيما لا تُحمَدُ عقباه من موبقات البدع والأهواء، وقد ذكر غيرُ واحدٍ من أهل العلم أنَّ مِن أعظمِ الأسباب التي ضلَّ بها مَن ضلَّ مِن أهل البدع والزندقات: الإعراضَ عن اللسان العربيّ، والفهمِ العربي، وانصرافَ الأذهانِ عن مجاري كلامِ العرب، والغفلةَ عن كثرةِ تصرُّفاته وتَفَنُّنِه، ومذاهبه التي لا يعقِلُها إلا العالِمون به، وفي ذلك المعنى يقول أبو شامة المقدسيّ[2]: إتقانُ علومِ الشرعِ مُتَوَقِّفٌ على التَّبَحُّرِ في معرفةِ علمِ اللسانِ

---

(١) في «المزهر» (١/٦)

(٢) في «المؤمّل» — وليس في الجزء المطبوع — كما نقله السيوطي في «صون المنطق والكلام» (٢/٢١٢) بتحقيق كاتبه.

العربي؛ من وجوهه وطرقه ومجاريه ومجاري استعماله، ولهذا ضلَّ كثيرٌ ممن جهله، فزلُّوا في علوم الأصولِ والفروعِ أنواعًا من الزَّلل، وأخطأوا فيها ضروبًا من الخطأ والخَطَل.

قال أيوب السَّختياني: عامَّةُ مَنْ تَزَنْدَقَ بالعراقِ لجهلِهم بالعربيَّة.

وقال الزُّهري: إنما أخطأَ الناسُ في كثيرٍ من تأويلِ القرآن لجهلِهم بلغة العرب».

ولذا قال ابن جِنّي: «إنَّ أكثرَ مَنْ ضلَّ مِن أهلِ الشريعةِ عن القصد فيها، وحاد عن الطريقةِ المثلى إليها: فإنما استهواه واستخفَّ حِلمَه ضعفُه في هذه اللغة الكريمةِ الشريفة»[1].

وكلامُ أهل العلم في ذلك الشأن كثيرٌ مشهور، ونَقْلُ أقوالِ السلف والأئمة في البابِ أمرٌ يطول، ويحتاج إلى تصنيفٍ مستقلٍّ يجمع أشتاته وما تفرَّق منه في بطون الكتب والمصادر.

والمقصود هنا أن كثيرًا من أهل الملة الإسلامية، بل إنَّ غالبَهم صاروا في زمننا هذا جاهلين بلغة كتابهم ولسان نبيهم - صلى الله عليه وسلم - جهلاً مفظعًا مُرَكَّبًا، لا يعرفون اسمًا من فعل، ولا مرفوعًا مِن منصوب، ولا يقدرون على قراءة سليمةٍ لنصٍّ من النصوص، وإذا قرؤوا لا يفهمون من ذلك شيئًا، مثلهم كالأعاجم سواء؛ ففدح الخَطْبُ، واتسع الخَرْق على الراقع. فكان أولى بنا وأحرى أنْ نعمل جميعًا جاهدين للتخلص من هذا الجهلِ المخجلِ لدى أبناء أمتنا. ولعلَّ كتابَنا هذا يكون خطوةً في هذه السبيل، ووسيلةً يرقى بها البعض إلى فَهْمٍ أفضلَ وأجودَ وأعمقَ لما يتكلمون به ويقرؤون.

---

(١) في «الخصائص» (٣/٥٤٢).

وتراثنا اللغوي العربي تراثٌ ثريٌّ أعظمَ ما يكون الثراء، بل ما حظيت لغةٌ من لغاتِ البشر بمثل تلك العناية البالغة والدراسة الفائقة والبحث المُعمّق في كل جزءٍ من أجزائها، وكلِّ شِعبٍ مِن شعابها.

وكان مبدأ ذلك اشتغال العرب بالقرآن المُعجز المنزّل، إذ شمّر الأوائل منهم عن سواعدهم يتعاهدونه بتفسير ألفاظه وبيان أحكامه، وضبطه إعرابًا وإعجامًا. وزاد كلُّ جيلٍ أتي فيما خلَّف أسلافُهم، وأضاف إلى آثارِهم شيئًا جديدًا، وإلى خطواتهم خطوات، حتى صارت الدراسات اللغوية مَيْدانًا واسعًا خَصْبًا ناضجًا، وبُنيانًا راسخًا متينًا كامل الأوصاف، يجد فيه كلُّ باحث غايتَه، ويعثر على ضالته بأقلّ جهد وأيسر كُلفة. ووضع لنا علماء اللغة وأساطينها قواعدَ وقوانين نتوصَّل بها إلى معرفة معاني الكلمة والجملة في اللسان العربي، وذلك بالبحث عن نظيرٍ لها في المادة اللغوية، أو ما يُعرف بالشواهد، التي هي مصادر الدرس اللغوي، وهي في لغة العرب: القرآن الكريم وقراءاته، والحديث الشريف، وكلام العرب المنظوم، وهو الشعر، والمنثور.

أما القرآن الكريم - كلام الله تعالى- فهو عند اللغويين جميعًا أعلى أنواع الشواهدِ مَرْتبةً، لأنه أفصح الكلام وأعلاه، وأصحُّ المنطق وأبلغه. يقول البغداديُّ[1]: «كلامه - عزَّ اسمه - أفصح كلام وأبلغُه، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذِّه».

وذلك أنَّ القرآن الكريم قد بلغنا بقراءات مختلفة، منها المتواتر، ومنها الآحاد، ومنها الشاذ، فالمتواتر هو القراءات السبع المشهورة، والآحاد هو القراءات الثلاث التي تلحق بالسبع وما بمرتبتها من قراءاتِ الأئمة، والشاذُّ هو ما دون هذه القراءات،

---

(١) «خزانة الأدب» (٤/١)

يقول ابن خلدون[1]: «إلا أن الصحابة رَوَوْه – أي القرآن – عن رسـول الله – صلى الله عليه وسـلم – على طرق مختلفة في بعـض ألفاظه، وكيفيات الحروف في أدائها».

والإسناد الصحيح هو الأصل الأعظم والركن الأقوم[2]. وقد اختلف اللغويون والنحاة من بصريين وكوفيين وغيرهم في قبول الاستشهاد ببعض القراءات أو ردها مما لا مجال لتفصيله هنا[3]، ولكن المختار في ذلك ما قاله ابن الجزري[4] إن: «كلّ قراءة وافقت العربيـة ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصحَّ سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردُّها، ولا يحِلّ إنكارها، بل هي مِن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولُها، سواء أكانت عن الأئمة السبعة أو عن العشـرة أو عن غيرهم من الأئمة المقبولين. ومتى اختلّ ركنٌ من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفةٌ أو شاذّةٌ أو باطلةٌ، سواء أكانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم».

أما الحديث الشـريف، فقد كان بعض أهل اللغة يتحرَّجون من الاستشهاد به والاحتجاج بكلامه في اللغة، متعللين في ذلك بأن قسـمًا كبيرًا من الحديث قد رُوي بالمعنى دون اللفظ. وفي ذلك يقول أبو حيان الأندلسيُّ[5]: «إنما ذكر العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظَ الرسـول – صلى الله عليه وسلم –، إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم في إثبات القواعد الكليَّة».

وهذا قولٌ مردود؛ فإنْ كان يعني بعدم الوثوق عدمَ التثبتِ من صحة الحديث، أو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاله؛ فهذا أمر قد كفاهم علماء الحديث وجهابذته مؤونةَ النظر فيه، بما قاموا به جيلاً بعد جيل من تمحيص وتدقيق في الأسانيد والمتون، مميزين الصحيح من السقيم، والثابتَ من المنكر والشاذّ، وفق منهج علميٍّ يفوق أيَّ منهج آخر سواء لأهل اللغة أو غيرهم. وإن كان يعني عدم الوثوق إن كان متنُ الحديث قد ثبت لفظًا ومعنى، فالأحاديث التي صحح أهل الحديث نسبتها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لفظًا ومعنى ليست بالقليلة، بل عامة الأحاديث الصحيحة من هذا الضرب، وتمييز ما رُوي بالمعنى في المتون أمر يسير وفق مناهج المحدثين، يضاف إلى ذلك كما ذكر البغدادي[1]: «إن النقل بالمعنى إنما كان في الصدر الأول قبل تدوينه في الكتب، وقبل فساد اللغة، وغايته تبديل لفظٍ بلفظ، يصح الاحتجاج به، فلا فرق».

ولذا نجد جماعة من أكابر علماء اللغة كابن الجواليقي، وأبي محمد ابن الخشّاب، وأبي الحسن ابن خَرُوف، وجمال الدين ابن مالك، وابنِ هشام، وابنِ فارس، والجوهريِّ، والسُّهيليِّ، وابنِ سِيدَه، وابنِ برّي، وغيرِهم ممن يطول ذكره قد صححوا الاحتجاج بالحديث في اللغة وأكثروا من الاستشهاد به[2]. وقد حرّرَ ابن الطيب الفاسيُّ (ت١١٧٠ هـ) فصلاً طويلاً في «شرح الاقتراح» للسيوطيّ[3] في تقرير ذلك، فليُراجَع.

أما الشعر، فقد قسّم اللغويون الشعراءَ طبقات:

---

(١) في «خزانة الأدب» (٥/١).

(٢) وانظر أمثلة لذلك في الاقتراح ص (٧١-٩١) وشرح «المغني» ص (٢٦٥) للسيوطي.

(٣) المسمى «فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح» وراجع منه (٦٤٤/١-٥٢٥).

الطبقة الأولى- الجاهليون، أمثال امرئ القيس، وزُهَير، والنابغة، والأعشى.

الطبقة الثانية- المخضرمون، أمثال حسان بن ثابت، وكعبِ بن زهير، والحُطَيئة.

الطبقة الثالثة- الإسلاميون، أمثال الفرزدق، وجريرٍ، والأخطل، وذي الرُّمة، ومن بعدَهم.

يقول البغداديُّ[1]: «فالطبقتان الأوليان يُستشهد بشعرهما إجماعًا، وأما الثالثة فالصحيح صحةُ الاستشهاد بكلامها، وقد كان أبو عمرو ابن العلاء، وعبد الله بنُ أبي إسحاق، والحسن البصري، وعبد الله بن شبرمة، يُلَحِّنون الفرزدق والكُميت وذا الرُّمــة وأضرابَهم .. في عدة أبيات أُخذت عليهم ظاهرًا؛ وكانوا يَعُدُّونهم من المولَّدين؛ لأنهم كانوا في عصرهم، والمعاصرة حجاب».

والحــق أن هذا التقســيم الذي وضعوه أمرٌ نســبي، وإلا ففــي الجاهليين والمخضرمين من ليس بفصيح ولا بحجة، ومَن يكثر التخليطُ واللحنُ في شــعره، وفي الإسلاميين ومن بعدهم مَن شُــهِدَ له بالفصاحة والجودة والتمكن، وسلامة اللغة ومُجاراةِ العربية، ولذا فقد اســتقرَّ رأيُ جمعٌ من اللغويين القدماء والمحدِّثين على صحة الاستشــهاد بشــعرِ بعض المتأخرين؛ كأبي تمام، والمتنبي، وأبي العلاء، وأمثالِهم مِن الفصحاء البلغاء دونما تحرُّج، وبسطُ هذا له موضعٌ آخر.

وأمَّا المنثور؛ فاحتجُّوا منه بلهجاتِ قبائلِ العربِ الخُلَّص، مع اســتبعادِ تلك التي جاوَرَت أممًا أخرى فتأثرت بلغاتِهم؛ كالنبطية والحبشية والفارسية وغيرها.

هذا تعريف موجز بأوجه الاستشــهاد في اللغة وما يصلحُ أن يحتج به وما لا يصلح. وقد يســتثقل بعض المطالعين لكتابنا هذا ما أوردناه من الشواهد الشعرية

(١) في «خزانة الأدب» (١/٦).

ونحوها، إذ هي عند بعض أبناء العربية في زمننا هذا «كلحم جملٍ غَثٍّ على رأس جبلٍ وَعْر»، لا رغبة لهم إلى إجهاد أنفسهم في قراءة شعرنا الأصيل وفهمه والإفادة منه. وإنني لأدعو هؤلاء إلى التأمل فيه ومحاولة استيعابه وتذوقه، وإدراك معانيه ومراميه. وتذوقُ البلاغة أمرٌ كُلّي لا يتجزَّأ، فمن يستثقلِ النظم والنثر ويُعرِض أو يعجزْ عن قراءتهما وفَهْمِهِما، كيف له أن يستشعرَ عظمة البلاغة القرآنية، ويُحسُّ بمزيد حلاوة كلام الباري جل شأنه في روحه وفؤاده؟

وإنني على ثقة بأن من كلَّف نفسه عِبْءِ القراءة والفهم سوف يصل حتمًا إلى النتيجة المؤملة المرجوة، بأن يقف على محاسن، ويطلع على أسرار تلك اللغة العجيبة التي اختصها الخالق عز وجل من دون سائر اللغات والألسنة بخصائص فريدةٍ معجزة.

وهناك قضيةٌ أخرى تتعلق بموضوع المُعَرَّب والدخيل في اللغة العربية، والذي نجد أمثلة له في هذا الكتاب وفي شيء كثير من ألفاظ اللغة، وقد كتب فيه كثيرٌ من القدماء والمحدثين، وبُيِّن أنه لا مجال في هذا الباب لطاعنٍ أو قادحٍ في القرآن العظيم أو في لغة العرب بعامة، ولكن أود أن أنوه في هذا المقام بكتابٍ أراه فريداً ومهمًا وهو المُعَنْوَن: «نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها» لأنِسْتَاس ماريّ الكَرْمَلي(١)، وهو من أقوى ما قرأت مما يدعم مذهب توقيف

(١) وهو مع كونه نصرانيًا، بل راهبًا يسوعيًا، ولكنه متبحرٌ في لغة العرب، عارفٌ بعلومها. والحق أني لمّا قرأت كلامه ومراسلاته مع العلامة السلفي الكبير محمود شكري الآلوسي تعجبت من حال نصارى العرب في تلك الأزمنة من حيث تأدبهم في الخطاب، وتوقيرهم للقرآن والحديث وعلماء الأمة وأعلامها، وتأثرهم بالعربية وانتصارهم لها، لا كأصحابهم من أهل زماننا هذا الذين قلبوا لنا ظهر المجن، وتنكروا لعروبتهم وهاجموا الثوابت يريدون تحطيمها، فأساؤوا لأسلافهم من أمثال الكرملي وغيره، وفي كل حال فالحق يُقبَل من كل من جاء به، وكان السلف يسمعون من أهل الكتاب وغيرهم بل وصنّف بعضهم: «أخبار الرهبان» فيما روي مِن أخبارهم وكلامهم، وبسط هذا له موضعٌ آخر.

اللغة الذي نقول به ونؤيده، والذي يفسر التشابهات الكثيرة بين اللغات وبعضها، لكونها راجعةً في الأصل إلى لسانٍ واحد مع زياداتٍ واختلافاتٍ طرأت كاختلاف ألوان بني آدم، فكتابه إن نُقِّحَ وقوبل على المنهج يكون من أحسن ما يكون، والله الموفق.

أما خطّتي في هذا الكتاب، فقد انتقيت جوامع ومختاراتٍ من الألفاظ الدينية، والأدعية، والأذكار، ونحوها، مُبينًا تفسيرها اللُّغَويّ، ذلك أن كثيرًا من الكلمات والجمل والتراكيب التي نطق بها الكتاب والسنة ووردت في الشرع الحنيف قد حملت معانٍ جديدة تضاف إلى معانيها اللغوية الصرفة، ثم صارت تتداول على الألسنة وطارت كلَّ مطارٍ بمفاهيمها الشرعية الخالصة أو تكاد، فأردت بيانَ حقيقتها وأصلها في كلام العرب، ورجعتُ في ذلك الشأن واستندتُ إلى قدرٍ وافر من دواوين اللغة، وكتب التفاسير، وشروح الحديث وغريبه، والمعاجم الجامعة، وغير ذلك مما تجدُه مبثوثًا في الحواشي.

ومن أكثر ما أفدتُ منه في هذا الباب كتبَ الإمام ابن قُتَيبة: «غريب القرآن» و«مُشكل القرآن» و«غريب الحديث» و«المسائل والأجوبة» وغيرها، وكذا «غريب الحديث» لأبي عُبَيد القاسم بن سلام، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة مَعْمَر بن المُثنى، و«معاني القرآن» للفرّاء، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، وأيضًا أمهات المعاجم؛ مثل «تهذيب اللغة» لأبي منصور الأزهري، و«لسان العرب» لابن منظور، و»تاج العروس» لمرتضى الزّبيدي.

ومن آكدِ ما رجعتُ إليه واستمددتُ منه كتاب «الزاهر في معاني كلمات الناس» لأبي بكر ابن الأنباري اللغوي الحجة العلاّمة، وكتابه عمدةٌ في بابه، رحمه الله تعالى.

ولم أتعرض إلى الوجوه النحوية والصرفية واختلافات النحاة إذ ليس هذا مقصودي.

وأما ما اختلف أهل اللغة في تفسيره فليُعلَم أنه اختلافُ تنوُّعٍ لا اختلافُ تَضادّ، فلا ينبغي أنْ يفهم قولي في بعض المواطن: في معنى هذه اللفظة قولان أو ثلاثة أو أكثر؛ لا ينبغي أن يُفهمَ على غير وجهه، بل هذا من الأدلة على ثراءِ اللغة وتنوعها، وأولى الأمور وأَسَدُّها الجمع بين مختلف المعاني وإرجاعُها إلى أصلٍ واحدٍ أو أوجهٍ متقاربة.

وكذا لم أتعرض إلى شرحِ الأسماء الحسنى وما فيها مِن المعاني، إذ أُفْرِدت مصنفاتٌ جامعةٌ في هذا الشأن يُرجَع إليها، ويُسترشَد بها.

فهذا غايةُ جهدي ومجموع قصدي، أسأل الله تعالى أن ينفع بكتابنا هذا كاتبه وقارئه وناشره، وأن يقبل منا صالح العمل، ويتجاوزَ عن الخطأ والزلل، إنه قريبٌ مجيب.

وكتب

محمد بن يسري سلامة

١- قولنا: «حَسْبُنَا الله ونِعْمَ الوَكيل»

معنى قولنا: «حسبنا الله»: كافينا الله. ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، ومعنى الآية: يا أيها النبي كافيك الله ومن اتبعك من المؤمنين. ومن ذلك قول امرىء القيس بن حُجْر[(١)]:

فتَملأُ بيتَنا أَقِطًا وسَمْنًا ... وحَسْبُك من غِنىً شِبَعٌ وريُّ

أي يكفيك الشِّبَع والري. ومنه قوله عز وجل: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦]، معناه: عطاءً كافيًا. يقال: أَحسبَني الطعامُ إحسابًا إذا كفاني. قال كُثيِّر الشاعر[(٢)]:

وإذ لا ترى في النَّاسِ حُسْنًا يَفُوقُها ... وفيهن حُسْنٌ، لو تأمَّلتَ، مُحْسِبُ

معناه: وفيهن حسنٌ كافٍ. وقال آخر[(٣)]:

ونُقفي وليدَ الحَيِّ إن كان جائعًا ... ونُحسِبُه إن كان ليس بجائعٍ

أي نعطيه ما يكفيه. ومن أسمائه جل وعلا: الحَسِيب، وفي معناه أربعة أقوال[(٤)]:

فقال قوم: الحسيب: العالم، ومعنى هذا الكلام التهديدُ، فإذا قال الرجل للرجل: حسيبك الله فمعناه: الله عالم بظلمك ومُجازٍ لك عليه. وقال آخرون: إذا قال الرجل للرجل حسيبُك الله، فمعناه: المقتدر عليك الله. وقال آخرون:

---

(١) «ديوانه» ص (١٣٧).

(٢) «ديوانه» ص (١٥٧).

(٣) إصلاح المنطق» لابن السكِّيت ص (٢٣٦) و«شرح المفضليات» ص (٢٣) و«تفسير غريب القرآن» ص (٧١) و«أمالي» القالي (٢/٤٥٢، ٢٦٢) و«سمط اللآلي» للبكري (٢/٥٨٨) و«لسان العرب» (٧/٥٨١-مادة قنا).

(٤) انظر «تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج ص (٤٩).

الحسـيب: الكافي، كما تقدم من قول الله عز وجـل: ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾[النبأ: ٣٦] أي كافيًـا. فإذا قال الرجل للرجل: حسـبيك الله فمعناه: كافيّ إياك الله. وقال آخرون: الحسيب: المحاسب، واحتجوا بقول قَيْس المجنون(١):

دعا المُحْرِمُون الله يستغفرونَهُ بِمَكَّةَ يومًا أن تُمحّى ذُنوبُها

وناديت يا رباه أوّلُ سُؤْلَتِي لنفسي ليلى، ثم أنت حَسِيبها!

معناه: ثم أنت محاسـبها على ظلمها. فقالوا: الحسـيب هو المحاسب بمنزلة قولنا: الشريك، للمُشَارِك. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النسـاء: ٨٦]، فيه أربعة أقوال: يقال عالمًا، ويقـال: مُقتدرًا، ويقال كافيًا، ويقال: مُحاسبًا.

أما قولنا (ونعم الوكيل)، ففي الوكيل ثلاثة أقوال كما ذكر الفرّاء(٢): فقيل: الوكيل: الكافي، كما قال عز وجل: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسـراء: ٢]، معناه: ألا تتخذوا من دوني كافيًا. وقال آخرون: الوكيل: الرب، فالمعنى عندهم: حسبنا الله ونعم الرب، وقالوا: معنى قوله عز وجل: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا﴾[الإسـراء: ٢]: ألا تتخذوا من دوني ربًّا. وقال آخرون: الوكيل: الكفيل. والمعنى عندهم: حسبنا الله ونعم الكفيل بأرزاقنا، واحتجوا بقول الشاعر(٣):

ذكرتُ أبا أروى فَبِتُّ كأنَّني بِـرَدِّ الأمورِ الماضيـات وكيـلُ

---

(١) «ديوانه» ص(٧٦). وهو قيس بن الملوح، لقب بالمجنون لذهاب عقله بشدة عشقه «الشعر والشعراء» ص (٣٦٥)، «الأغاني» (٢/١)، «اللآلي» ص (٣٥٠)

(٢) في «معاني القرآن» (١١٦/٢)، وانظر «تهذيب اللغة» للأزهري (٣٧١/١٠)

(٣) هو شُـقران السـلامي كما في «بهجة المجالس» (١١٢/٢)، والبيتان في «البيان والتبيين» (١٨١/٣) بلا عزو

وكلُّ اجتماعٍ من خليلٍ لفُرقةٍ وكل الـــذي بعْدَ الفـــراق طويلُ

ومعنـــاه: كأنني كَفيل برد الأمور. وأصوب الأقـــوال وأعدلها[1] أن الوكيل بمعنى الكافي، فيكون الذي قبل (نعم) في قولنا: حسبنا الله ونعم الوكيل موافقًا لما بعدها، فيكون المعنى: كافينا الله ونعم الكافي، كما نقول: رازقنا الله ونعم الرازق، وخالقنا الله ونعم الخالق، وراحمنا الله ونعم الراحم، فيكون هذا أحسن في اللفظ من قولك: خالقنا الله ونعم الكفيل.

* * *

(١) واختاره الفرّاء في «معاني القرآن» (٢/١١٧)

٢- قولنا: (لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله)

معناه: لا حيلة ولا قوة إلا بالله، ويقال: ما للرجل حيلة، وماله حول، وماله احتيال، وما له محالة، قال الشاعر(١):

ما لِلرِّجالِ مع القضاءِ مَحَالةٌ ... ذَهَبَ القَضَاءُ بحيلةِ الأقْوامِ

وقال العجاج بن رؤبة(٢):

قد أركَبُ الحالةَ بعد الحالةْ

وأتركُ العَاجِزَ بالجَدَالةْ

مُتَعفِّرًا ليسَتْ له مَحَالةْ

وكتب الخليل بن أحمد الفراهيديُّ(٣) إلى سليمان بن عليٍّ:

فالرزق عن قَدَرٍ، لا العَجْز يُنْقِصُه ... ولا يزيدُك فيه حول مُحْتالِ

ويُروى عن الأعرج(٤) أنه قرأ ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمَحَالِ﴾ [الرعد: ١٣] بفتح الميم(٥)، وكذا فسره ابنُ عباس بأن معناه: وهو شديد الحول(٦)، وهو خلاف المشهور، إذ قرأ الجمهور: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾، ومعناه: شديد المكر والعقوبة، قال الأعشى(٧):

فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ في غُصْنِ المجدِ ... غزيرُ النَّدى، عَظِيمُ المِحَالِ

---

(١) بعض بني أسد كما في «سمط اللآلي» (٢/٩٠٨)

(٢) الراجز المشهور (ت ٩٠ هـ). والرجز في أمالي أبي علي القالي (٢/٢٦٩) و«الزاهر» لابن الأنباري (١/٨)، والجدالة: الأرض المستوية.

(٣) مجموع شعره ص (١٨).

(٤) هو عبد الرحمن بن هُرمز التابعي المشهور (ت ١١٧ هـ).

(٥) انظر «شواذ القراءات» لابن خالويه، ص (٦٦)، و«المحتسب» (١/٣٥٦)

(٦) انظر «تفسير القرطبي» (٩/٢٩٩)

(٧) «ديوانه» ص (١٠).

معناه: عظيم المكر، وقال النابغة(١):

إن من يَرْكَبُ الفَوَاحِش سِرًّا حين يخلو بسِرِّه، غيرُ خالِ
كيف يخلو وعنده كاتباه شَاهِداه، وربُّه ذو المِحَالِ

ومن ذلك قولهم في الدعاء: اللهم لا تجعل القرآن بنا ماحلاً، أي: لا تجعله شاهدًا بالتقصير والتضييع علينا(٢).

وتحقيق معنى الجملة في الشرع: إقرار المملوك بالعجز عن الإرادة والفعل إلا بعونٍ من الله عز وجل، وبمددٍ ومشيئةٍ منه سابقة، لا استقلالاً واستغناءً، وهذا من حقائق التوحيد ولوازمه.

ومن هنا كان الدعاء لازماً في كل أمر دقّ أو جلّ، ويظهر به قبحُ قول من ظن أنَّ الدعاء عند حلول المُلمات والشدائد وعند ظهور أعداء الملة على أهلها ونحو ذلك سلاح الضعفاء، بل وينسبونه إلى خُلق النساء وما أشبه ذاك مما اغتر بترديده المغترون من أهل زمننا، بل الدعاء والتضرع أقوى سلاحٍ وأمضاه، ولا ينافي بذل المرء أفضل جهده وأحسن تدبيره، لكنه بذلك يُنال رضا الرب عز وجل، وتشمله رحمته لِما رآه مِن استعانته به، واستغفاره إياه، ولِياذه بجنبه، ثم فعلِه قدرَ استطاعته، وبذله غايةَ جهده، فيعطيه ما يسأل، أو يمنعه إياه بحسب الحكمة والمصلحة، وإن لم يدرك ذاك العبد في حينه، وأنَّى له بلوغ هذا المقام مِن العلم بالمآلاتِ والعواقب؟

(١) «ديوانه» ص (١٠).

(٢) راجع «تهذيب اللغة» للأزهري (٥/٦٩) و«النهاية» لابن الأثير (٤/٣٠٣).

ويقــال: حَوْلَقَ الرجل وحَوْقَل إذا قــال: لا حول ولا قوة إلا بالله[1]. قال الشاعر[2]:

فِدَاكَ من الأقوام كلُّ مبخَّلٍ ... يُحَوِلق إمَّا سَاله العُرْفَ سَائِلُ

أي يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

والعــرب تفعل هذا كثيرًا في كلامها، إذا كثر اسـتعمالهم للكلمتين ضموا بعض حروف إحداهما إلى بعض حروف الأخرى وتُسمِّيه «النحت» كما سيأتي في مواضع آخر.

٣- قولنا: «اللهم مَحِّص عنَّا ذنوبنا»

ذكر أهل اللغة فيه أقوالاً[3]: فقالــت طائفة: المعنى: اللهم طَهِّرنا من ذنوبنا وأسْقِطها عنا. واحتجُّوا بقول أبي دؤاد الإيادي[4] يصف قوائم الفرس:

صُمُّ النُّسُور، صحاحٌ، غيرُ عَاثِرة ... رُكِّبن في مَحِصات مُلْتَقى العَصَبِ

والنَسُــور: اللحــم الــذي في بَاطــن حافــر الفــرس، مفردها نَسْــر، وقولــه في مَحِصــات أي في قوائــم منجزات ليــس فيها إلا العظــم والجلد والعصــب، لبيان خفتها وســرعتها. قالــوا: فكذلك إذا قــال الرجل: اللهم مَحِّــص عنــا ذنوبنا فمعنــاه: جَرِّدنا مــن ذنوبنا، ومعنى قــول الله عز وجل:

---

(١) انظر «الزاهر» لابن الأنباري (١/١٠-١١).

(٢) «الفاخر» ص (١٣) و«أمالي أبي علي القالي» (٢/٩٦٢) بلا عزو.

(٣) انظر «الفاخر» للمفضل بن سلمة، ص(٥٣١)، و«اللسان» و«تاج العروس» (محص).

(٤) «ديوانه» ص(٥٨٢)، واسمه جارية بن الحجاج، شاعر جاهلي «الشعر والشعراء» ص(٧٣٢)، «الأغاني» (٦١/٣٧٣)، «خزانة الأدب» (٤/١٩٠).

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤١]: وليجرِّد الله الذين آمنوا من ذنوبهم، ويسقطها عنهم.

وقال الخليل بن أحمد: اللهم مَحِّص عنا ذنوبنا معناه: خَلِّصنا من ذنوبنا. قال: والمَحْص عند العرب التخليص، يقال: مَحَصتُ الشيء أَمْحصُه مَحْصًا، إذا خلَّصتُه. وقال: معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: وليُخلِّصَ الله الذين آمنوا من ذنوبهم.

وقال أبو عمرٍو إسحاقُ بن مِرَارٍ الشيبانيُّ[١]: اللهم مَحِّص عنا ذنوبنا معناه: اكشف عنا ذنوبنا، واحتج بقول الشاعر يصف الليل[٢]:

حتى بَدَت قَمْراؤهُ وتَمحَّصَتْ ظَلْماؤهُ ورأى الطريقَ المُبْصِرُ

فمعناه: وانكشفت ظلماؤه. وقال آخرون: معناه: اللهم اطرح عنا ما تعلق بنا في الذنوب، وهو مأخوذٌ من قول العرب: قد مَحُصَ الحَبْل يَمْحُصُ محصًا: إذا ذَهب وبره. والوجوه الأربعة متقاربة كما ترى، الأصل فيها واحد، والاختلاف بينها يسير.

* * *

(١) الإمام اللغوي الكوفي (ت نحو ٢٠٥ هـ). راجع «معجم الأدباء»: (٦/٧٧)، و«إنباه الرواة» (١/٢٢١).

(٢) البيت في «الفاخر» ص(١٣٥) و«اللآلي» (٢/٩١٦) و«الزاهر» (١/١٥) بغير عزو.

٤- قولنا: «اللَّهمَّ اغْفر لنا ذُنوبَنا»

قال بعض أهل اللغة(١): معناه: اللهم غَطّ علينا ذنوبنا. قالوا: وهو مأخوذٌ من قول العرب: قد غفرت المتاع في الوعاء أغفِره غُفرًا أي غطيته. ومن ذلك قول العرب: قد غفر الرجل في مرضه يغفر غُفرًا: إذا أُنكس في مرضه، فكأن المرض غطّى عليه. قال الشاعر(٢):

خليليَّ إن الدارَ غُفْرٌ لذي الهوى ... كما يغفرُ المحمومُ أو صاحبُ الكَلْمِ

فعلى قولهم فقوله عز وجل: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ [هود: ٩٠] معناه: سلوا ربكم أن يغطي عليكم ذنوبكم. ومن ذلك قوله: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾[نوح: ٣-٤]، معناه: يغطي عليكم ذنوبكم(٣).

قال الفرّاء(٤): معنى قوله عز وجل: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [نوح: ٤] أي: يغفر لكم من أجل وقوع الذنب منكم، كما تقول في الكلام: قد اشتكيت من دواء شربته، فالمعنى: قد اشتكيتُ من أجل الدواء الذي شربته. وقال قطرب: من المغفرة قولهم: قد غفر الرجل رأسه بالمِغْفَر، أي غطّاه به، ويقال للبَيْضَة التي يغطى بها الرأس: الغِفارة. وقال الأصمعيُّ: معنى قولهم: اللهم اغفر لنا ذنوبنا: اللهم استر علينا ذنوبنا. قال: والعرب يقول الرجل منهم للرجل: اصبغ ثوبك فإنه أغفر للوسخ، أي أستر للوَسَخ(٥).

---

(١) انظر «الفاخر» ص٤٣١، و«الزاهر» (٦١/١) و«اللسان» و«التاج» مادة (غفر).

(٢) هو المرار الفقعسي كما في «ديوانه» ص(٦٧١). والكلم: الجراح.

(٣) قال الكسائي وهشام بن معاوية الضرير وغيرهما أن (من) في هذه الآية زائدة للتوكيد، والمعنى عندهم: يغفر لكم ذنوبكم.

(٤) «معاني القرآن» (٧٨١/٣) بتحقيق سزكين.

(٥) راجع «الزاهر» لابن الأنباري (٨١/١).

٥- قولنا: «اللَّهُمَّ لا مَانِعَ لما أَعْطَيْتَ، ولا مُعْطِيَ لما مَنَعْتَ، ولا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ[١]»

فيــه ثلاثة أقــوال: فقال أبو عُبيدٍ القَاسِــمُ بنُ سَــلَّام[٢]: المعنى: ولا ينفع ذا الغِـنى منك غنــاه، وإنما ينفعه طاعتك والعملُ بما يقربــه منك. واحتج بقول النبي - صلى الله عليه وسـلم -: (قُمْت على باب الجنة فإذا عامة من يدخلهـا الفقراء، وإذا أصحـاب الجَـدِّ محبوسـون)[٣]. فمعناه: وإذا أصحاب الغنى في الدنيا محبوسـون. قال: وهــو بمنزلة قوله عز وجــل: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]، وقوله جل وعلا: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [سبأ: ٣٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٤) و(٦٣٣٠) و(٦٦١٥) ومسلم (٥٩٣) وأحمد (٤/٢٤٥) والحميدي في مسنده (٧٦٢) والدارمي (١/٣١١) وأبو عوانة (٢/٢٤٣، ٢٤٤) وابن خزيمة (٧٤٢) وابن حبان (٢٠٠٧) والطبراني في «الكبير» (٢٠/ رقم ٩٠٨-٩٢٠) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/١٨٥) والبغوي في «شرح السنة» (٧١٥) من حديث المغيرة بن شعبة أن رسول الله كان إذا قضى صلاته فسـلم قال .. فذكره. وأخرجه النسائي (٣/٣٧) وفي «عمل اليوم والليلة» (١٣٧) وابن خزيمة (٧٤٥) وابن حبان (٢٠٢٦) في صحيحيهما من حديث كعب بن ماتع الحميري - كعب الأحبار - عن صهيب مرفوعًا به. وحسـنه الحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار» ص (١٣٦).

(٢) في «غريب الحديث» (١/٢٥٧). وراجع «الغريبين» لأبي عبيد الهروي (١/٣٢٦) و«النهاية» لابن الأثير (١/٢٤٤) و«الزاهر» لابن الأنباري (١/١٨).

(٣) أخرجــه البخاري (٥١٩٦) ومســلم (٢٧٣٦) وأحمد في مســنده (٥/٢٠٥، ٢٠٩) وفي «الزهد» ص (٣٢) وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٦١١) وابن حبان (٦٧٥) والطبراني في «الكبير» (٤٢١) والبغوي في «شــرح السنة» (٤٠٦٤) والخطيب في تاريخه (٥/١٤٩) من حديث أسامة بن زيد. وكذا البخاري (٣٢٤١) ومواضع، والترمذي (٢٦٠٢، ٢٦٠٣) من حديث عمران بن الحصين ومسلم (٢٧٣٧) من حديث ابن عباس.

وقال غيرُ أبي عبيد[1]: الجَدُّ في هذا الموضع الحَظُّ، وهو الذي تسميه العوام البخت. والمعنى عندهم: ولا ينفع ذَا الحظّ منك الحظُّ، إنما ينفعه العمل بطاعتك. وقالوا هو مأخوذٌ من قول العرب: لفلان جَدٌّ في الدنيا، أي حظٌّ وبَخْت. قال امْرُؤُ القَيْس[2]:

ألا يا لَهْفَ نفسي إثرَ قوم ... هُمُ كانوا الشّفاءَ فلم يُصابوا

عِش بجَدٍّ ولا يَضُرك نَوْكٌ ... إنما عَيْشُ مَنْ تَرى بالجُدودِ

وقال أبو العباس ثعلبٌ: الجد في كلام العرب ينقسم على أقسام[3]: يكون الجَدُّ أبا الأب، ويكون الجَدُّ أبا الأم، ويكون الحظّ، وهو الذي تسميه العوامّ: البخت، ويكون الجَدُ الجَلال، ويكون الجَدُّ العظمة؛ كما قال الله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣] قال قتادة: معناه: وأنه تعالى جلالُ ربّنا، واحتج بقول الشاعر:

ترفَّعَ جَدُّكَ إنّي امرُؤٌ ... سَقَتْني الأعادي إليك السِّجَالا[4]

وقال الحَسَنُ البصريُّ: تعالى جد ربنا معناه: تعالى غنى ربنا، وقال السُّدّيُّ: معناه تعالى أمره، وقال مجاهد بن جبر: معناه تعالى ذكر ربنا، وقال غيرهم: تعالت عظمة ربنا. وهذه الأقوال متقاربة في الدلالة والمعنى[5].

---

(١) انظر «الزاهر» (١/٩١) و«الغريبين» لأبي عُبيد (١/٧٢٣) و«النهاية» (١/٥٤٢).

(٢) «ديوانه» ص (١٣٨).

(٣) «الزاهر» (١/٩١).

(٤) تفسير الطبري (٢٩/١٠٥) بلا عزو.

(٥) راجع «تفسير الطبري» (٢٩/١٠٣-١٠٦) و«زاد المسير» (٨/٣٧٨) و«بصائر ذوي التمييز» (٢/٣٧٠).

والوجه الثالث- ولا ينفع ذا الجِدّ منك الجِدّ بكسر الجيم. والجِد بكسر الجيم ينقسم على قسمين:

فيكون الجِد: التقلل والانكماش، كما أنشد الزبيرُ بن بكّار:

ولما رأينا البيْنَ قد جَدَّ جِـدُّهُ ... ولم يَبْقَ إلاّ أنْ تَزُولَ الركائبُ

مررنا فسلَّمنا سَـلامًا مُخَالسًا ... فردَّت علينا أعينٌ وحَوَاجـبُ[1]

أي: قل البَين وانكمش.

ويكون الجِد: الحقّ، كقولهم جِدٌّ في الجِدّ ودَعْ الهزلَ، ومن ذلك قولهم في القنوت: (ونخشى عذابَكَ إنَّ عذابك الجِدَّ بالكفار مُلْحِقٌ)[2]، معناه: إنّ عذابك الحقّ. وكذا قولنا: هو عالم جِدًّا، وشجاع جدًّا: أي حقًّا.

فعلى القولين يكون كسر الجيم في الدعاء المذكور خطأ، إذ أن الله تعالى أمر الخلق بالتقلل والانكماش في الدنيا، فكيف يجوز أن يأمرهم بذلك ويدعوهم إليه ثم يقول: لا ينفعهم ذلك. وكذا الحق. فهو تصحيف كما ذكر أبو عبيدٍ[3] وغيرهُ.

قلت: وللقول الأول وجهٌ وإن كان بعيدًا، ذلك أنه لا يلزم أن يكون التقلل والانكماش في قولنا (لا ينفع ذا الجِد) تقللاً من الدنيا والمتاع، بل قد يحتمل المعنى انكماش من انكمش عن الله سبحانه وزهد في عبادته وطاعته ورغب عنها لهوى أو شبهة أو مصيبة جرت له أو نحو ذلك، فلا ينفعُ ذلك التقللُ صاحبَه بل يضرُّه ولا يضرُّ الله شيئاً، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) الحماسة البصرية (١٠٣/٢) بلا عزو.

(٢) «النهاية» لابن الأثير (٨٣٢/٤)

(٣) «غريب الحديث» (٨٥٢/١)

٦- قولنا: «اللَّهم إنَّا نَعُوذ بِك مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وكَآبَةِ الْمُنْقَلبِ[(١)] وَمِنَ الحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ»

وَعْثَاءُ السفر: شدة النَّصَب والمشقة، وكذلك المأثم. قال الكُمَيت[(٢)]:

وابنُ ابنِها منا ومنكم، وبعلُها خُزيمة، والأرحام وعثاء حُوبها

معناه: في قطيعة الرحم إثمٌ شديد. وأصل الوعثاء من الوَعْث، وهو الدَّهس والمشي يشتد فيه على صاحبه، فصار مثلاً لكل ما يشق على فاعله.

وكآبة المنقلب: أن يرجع الرجل من سفره إلى مترله بأمر يكتئب منه، أو يرى في مترله عند قدومه ما يغُمه ويَحْزنُه.

والحَوْر بعد الكَوْر، فيه قولان[(٣)]: قال أكثر أهل اللغة: الحَوْرُ بعد الكَوْرِ يعني: النقصان بعد الزيادة. قالوا: وهو مأخوذٌ من كور العمامة وحورِها، فمعناه: اللهم إنا نعوذ بك أن تتغير أمورُنا وتنتقصَ كنقص العمامة بعد كورها، وهو شَدُّها.

واحتجوا بأن الحجاج بن يوسف الثقفي بعث رجلاً أميرًا على جيش ليقاتل الخوارج، ثم بعث به بعد مدة تحت لواء رجل آخر، فقال للحجاج: هذا الحور بعد الكور. فقال له الحجاج: وما الحور بعد الكور؟ قال: النقصان بعد الزيادة.

وقال آخرون: معناه:اللهم إنا نعوذ بك من الرجوع والخروج عن الجماعة، بعد أن كنا في الكور، وهو الاجتماع.

---

(١) أخرجه -بألفاظ متقاربة- أحمد في مسنده (٢/١٥٠) وأبو داود (٢٩٩٥) والنسائي في «الكبرى»، وفي «عمل اليوم والليلة» (٥٤٨) وعبد الرزاق في مصنفه (٩٢٣٢) وابن خزيمة (٢٥٤٢) وابن حبان (٢٦٩٦) والبيهقي (٥/٢٥١-٢٥٢) من حديث عبد الله أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبَّر ثلاثًا وقال.. فذكره.

(٢) «ديوانه» (١/١١٦)

(٣) راجع «غريب الحديث» (١/٢٢٠) و«المجازات النبوية» ص (١٤١).

ويقال: قد كار الرجل عمامته على رأسه: إذا شدها وجمعها، وحارها إذا نقضها وأفسدها. ورواه بعض أهل العلم: اللهم إنا نعوذ بك من الحور بعد الكون، بالنون. فسُئل عن معنى ذلك فقال: أما سمعت قول العرب: حار بعد ما كان، أي كان على حالٍ فحارَ عنها، أي رجع عنها. يقال: قد حار الرجل يحورُ حَوْرًا: إذا رجع، من ذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤]، أي لن يرجع. قال لبيد بن ربيعة[١]:

وما المَرْءُ إلاّ كالشِّهَابِ وضوئِه ... يَحُورُ رمَادًا بَعْدَ إذ هو سَاطِعُ

أراد: يرجع رمادًا. وقال عِمْرانُ بنُ حِطّان[٢]:

فقد حرْتُ في النقص الغَداةَ وقد بدا ... لكم كِبرَى وابْيضَّ مني المَفارِقُ

وقال المُنخّل اليَشْكُريُّ[٣]:

إن كُنْتِ عَاذِلَتِي فسِيري ... نحو العراقِ ولا تَحُوري

أي: ولا ترجعي.

وقال آخرون: معناه: اللهم إنا نعوذ بك من الرجوع والخروج عن الجماعة، بعد الكون على الاستقامة. قالوا: فحُذفت (على) لدلالة المعنى عليها، كما قال عز وجل: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، أي فمن شاء أن يؤمن فليؤمن، ومن شاء أن يكفر فليكفر، على وجه التوعد والتخويف. والعرب

---

(١) «ديوانه» ص (١٦٩).

(٢) «الزاهر» (١/٢٥-٢٦).

(٣) كما في «الأصمعيات» ص (٥٨) و«شرح ديوان الحماسة» ص (٥٢٣).

في كلامها تضمر الشيء أحيانًا إذا كان في الكلام دليل عليه، من ذلك قول الشاعر[1]:

تَرَاهُ كأنَّ الله يَجْدَعُ أنْفَه وعينَيه إنْ مَوْلاهُ كان له وَفْرُ

أراد: كأن الله يجدع أنفه ويفقأ عينيه، فحذف الفعل لدلالة المعنى عليه.

* * *

٧- قولنا في افتتاح الصلاة:

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، تَبَارَكَ اسْمُكَ وتَعَالَى جَدُّكَ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ»[2]

معنى «سبحانك»: تنزيهًا لك يا ربنا من الأولاد والصاحبة والشركاء، أي: نزهناك.

ومن ذلك قول الأعشى[3] يهجو عَلْقَمة:

أقولُ لمَّا جاءني فَخْرُهُ سُبْحانَ مِنْ عَلْقمةَ الفاخِرِ

أراد: تَنَزُّهًا من فخر عَلْقَمة.

ويكون التسبيحُ: الاستثناء، من ذلك قوله عز وجل: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾[القلم:٢٨]، أي قال أعدلهم قولاً: هَلاَّ تَسْتثنون؟

ويكون التسبيحُ: الصلاة، وإذا فرغ الرجلُ من سبْحَته: أي فرغ من صلاته، وقيل في قوله عز وجل: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴾[الصافات: ١٤٣]، أي معناه: فلولا أنه كان من المصلين.

ويكون التسبيحُ أيضًا: النور، ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم -: (لولا ذلك لأحرقَتْ سُبُحَاتِ وَجْهِهِ ما انتهى إليه بصرُه)[١]. قال أبو عُبَيْدٍ[٢]: السُّبُحَات: النُّور.

وفي معنى (اللهُمَّ) أقوال لأهل اللغة: فقال الفراء وثعلب[٣]: معنى «اللهم»: يا الله أُمَّنا، أي اقصدنا، فتركت العرب الهمزة فاتصلت الميم بالهاء وصارا كالحرف الواحد، واكْتُفِي به من (يا) فأُسقطت، وربما أدخلت العرب (يا) فقالوا: يا اللهم اغفر لنا. قال الفراء: أنشدني الكسَائيُّ:

وما عليكِ أن تقولي كُلَّما سَبَّحت أو صَلَّيتِ يا اللَّهُمَّا

ارْدُد علينا شيخنا مُسَلَّمَا[٤]

وأنشد قُطْرُبٌ[٥]:

إني إذا ما مَعْظَمٌ أَلَمَّا أقـولُ يا اللهُمَّ يـا اللَّهُمَّا!

وقال الخليلُ بنُ أحمد وسِيبَوَيْه[٦]: «اللهم» معناه: يا الله، قالا: فجعلت العرب الميم بدلاً من (يا). والدليل على صحة قول الفراء وثعلب إدخال العرب (يا) على اللهم، والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم (١١١) وغيره.

(٢) «النهاية» لابن الأثير (٣٣٢/٢).

(٣) «معاني القرآن» (٢٠٠٣/١) و«الزاهر» (٥١/١).

(٤) «معاني القرآن» (٢٠٣/١).

(٥) «النوادر» لأبي زيد ص (١٦٥) و«الإنصاف» ص (٣٤١) و«خزانة الأدب» (٣٥٨/١).

(٦) الكتاب لسيبويه (٣١٠/١) وانظر «تهذيب اللغة» (٤٢٦/٦) و«الزاهر» (٥٢/١).

وقولنا: بحمدك: أي بحمـــدك نبتدئ، وبحمدك نفتتح، فحُذف الفعل لدلالة المعـــنى عليه، كما قال عز وجـــل: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]، أي: وادعوا شركاءكم. وأنشد أحمدُ بنُ يَحيى ثعلبٌ[(١)]:

ورأيتُ زوجَكِ في الوَغَى ... مُتَقَلِّدًا سَيفًا ورُمْحَا

أي: متقلدًا سيفًا وحاملاً رمحًا. وأنشد ثعلبٌ أيضًا:

تسْمَعُ للأَحْشاءِ مِنْهُ لَغَطَا ... ولليدين جُسْأَةً وبَدَدَا[(٢)]

أراد: تسمع للأحشـــاء وترى لليدين. وهذا كثير في لغة العرب، وقد تقدم نحوه.

أما قولنا: «تبارك اسمك وتعالى جَدُّك»، ففيه قولان: فقال قوم: معنى تبارك: تقدَّس، أي: تطهَّـــر. والقُدْس عند العرب: الطُّهْر، والماء المقدس: هو الماء المُطَهر. وروح القدس معناه: الطهر، والقُدُّوس: الذي طَهُر من الأولاد والشركاء والصاحبة. قال رؤبةُ بْنُ العَجَّاج[(٣)]:

دَعُوتُ ربَّ العِزَّةِ القُدُّوسَا ... دُعاءَ مَنْ لا يَضْرِبُ النَاقوسَا

أراد: دعاء أهل التوحيد لا أهل الشرك والتنديد.

---

(١) «معاني القرآن» (١/١٢١، ٤٧٣) و(٣/١٢٣) و«مجاز القرآن» (٢/٦٨) و«المقتضب» (٢/٥١) و«أمالي» المرتضى (٢/٢٥٩) ونسب في «الكامل» (١/٢٨٩) إلى عبد الله بن الزبعري.

(٢) "معاني القـــرآن" (١/٤٠٥) و(٣/١٢٣) و"إيضاح الوقف والابتـــدا" (٢/٦٨١) و"أمالي" المرتضـــى (٢/٢٥٩). وانظر "الطـــبري" (١٤/٩٠) و"الخصائص" لابـــن جني (٢/٤٣٢). والجسأة: اليبس والتصلب، والبَدَد: تباعد ما بين اليدين أو الفخذين.

(٣) «ديوانه» ص (٦٨).

ومن العرب من يقول: القَدوس بفتح القاف، وهي قراءة شاذة[1]، وقال آخرون[2]: معنى «تبارك اسمُك»: تَفَاعلَ من البركة، أي: البركة تكتسب وتنال بذكر اسمك. و«تعالى جدُّك»: أي علا جلالك، وارتفعت عظمتك، وقد سبق ذكر معنى الجد في اللغة.

* * *

٨- قولنا: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»

في معنى «الشيطان» وجهان[3]: أحدهما أن يكون سُمي شيطانًا لتباعده من الخير، أخذ من قول العرب: دارٌ شَطُون، أي بعيدة. قال نابغة بني شيبان[4]:

فأضْحَت بعدَمَا وَصَلت بدارٍ شَطُونٍ لا تُعَادُ ولا تَعُودُ

والثاني: أن يكون الشيطان سمي شيطانًا لغَيِّه وهلاكه، أخذ من قول العرب: قد شاطَ الرجلُ يَشيطُ: إذا هلك. قال الأعشى[5]:

قد نَطْعَنُ العِيرَ في مكنون فائِلِه وقد يَشيطُ على أرماحِنا البَطَلُ

أراد: وقد يهلك على أرماحنا.

أما «الرَّجيم» ففيه ثلاثة أقوال[6]: الأول: أن يكون معناه: المرجوم، فصرف عن المرجوم إلى الرجيم، كما تقول العرب: طبيخ والأصل مطبوخ، وكذلك جريح وقتيل أصلهما مقتول ومجروح. والثاني: أن يكون الرجيم: المرجوم أي

---

(١) انظر «المحتسب» (٢/٧١٣) و«شواذ القراءات» ص (٦٥١).

(٢) انظر «الزاهر» لابن الأنباري (١/٣٥).

(٣) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص (٣٢) و«تأويل مشكل القرآن» ص (١٤٠) و«الزاهر» (١/٦٥).

(٤) «ديوانه» ص (٤٣).

(٥) «ديوانه» ص (٧٤).

(٦) انظر «تهذيب اللغة» للأزهري (١١/٦٩) و«الزاهر» (١/٥٧).

المشـــتوم المسبوب، فيكون مثل قول الله عز وجل: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦]، أي لأشـــتُمنّك وأسُــبنّك. وكذا ما يروى عن عبد الله بن مُغفل[١] أنه أوصى بنيه عند موته فقـــال: (لا ترجُمُوا قبري)[٢] أي لا تنوحوا عند قبري، ولا تقولوا عنده كلامًا سـيئًا قبيحًا[٣] من فعل الجاهلية. والثالث: أن يكون الرجيم: الملعون، وهو قول عامة أهل التفسـير، والملعون في لغة العرب: المطرود، إذا قيل: لعن الله فلانًا فمعناه: طرده الله من رحمته. ومنه قول الله عز وجل: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: ٣٤]، أي ملعونٌ مطرود.

* * *

٩- قولنا: «التحيَّات لله والصَّلَواتُ والطيِّباتُ»

ذكر أهلُ اللغة في «التحيات» ثلاثة أقوال:

فقال قوم: التحيات: السلام، واحْتجُّوا بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا﴾ [النساء: ٦٨]، أي: وإذا سُلِّم عليكم. وكذا بقول الكُمَيت[٤]:

ألا حُيِّيت عنا يا مدينا وهل بأسٌ بقول مُسَـلِّمينا

وقال قوم: التحيات المُلْك، واحتجوا بقول عمرو بن معديكَرِب[٥]:

أُسَيِّره إلى النُعمان حتى أُنيـخَ علـى تحيَّتِهِ بجُنْـدِ

معناه: حتى أنيخ على ملكه.

---

(١) الصحابي المتوفى سنة ٥٧ وقيل (٦٠ أو ٦١) هـ، راجع «الإصابة» (٢٤٢/٤).

(٢) انظر «ربيع الأبرار» (١٦٥/٤).

(٣) «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢٩٠/٤) و«النهاية» (٢٠٥/٢).

(٤) «ديوانه» (١١٤/٢).

(٥) «ديوانه» ص (٨٠)

وقـــال آخرون: التحيات لله أي البقـــاء لله، واحتجوا بقول زهير بن جَنَاب الكلبي[1]:

أبَنِيَّ إن أَهـلَكْ فإنْـــني — قـد بنيـتُ لكـم بَنِيَّــةْ
مِنْ كُلِّ ما نَـــال الفَتَى — قـد نلتُـه إلا التَّحِيَّـــةْ

أي نلت كل شيء إلا البقاء، فإنه لا يُنال.

والصلـوات فسـرها ابنُ الأنباريِّ[2] هـا هنا بالرحمة، واحتَّـج بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾[البقـرة: ١٥٧]، وهـو قـولٌ غـير متجـه، واستشـهاده بالآية ليس في محلـه، هذا إن سَـلَّمنا بأن معـنى الصلوات في الآيـة الرحمة، فكيف يكـون العطف على لفظة مسـاوية في المعـنى والدلالة؟ بل الصلوات المذكورة في هذا الموضع: الدعوات، أو الذكر الجميل الحَسَن. والطيبات: أي الطيبات من الكلام لله، ومن ذلك قوله جل وعلا: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾[النور: ٢٦]، أي أن ذلك مما يليق بهم ويشاكلهم.

* * *

(١) طبقات ابن سلام (١/٣٣) وحماسة البحتري ص ١٠١
(٢) في «الزاهر» (١/١٦)

١٠ - قولنا: «أذَّن المؤذِّن»، و«قد سمعت أذان المؤذن»

معناه: قد أعْلَمَ المُعْلِمُ بالصلاة، وقد سمعت إعلامَ المُعْلِم بها[١]. من ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠]، ومعناه: أعلم مُعلِم، وقوله تعالى: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٣]، أي: وإعلام من الله ورسوله.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩] أي: كونوا على علم. وقرئ أيضاً: ﴿فَآذِنُوا۟ بِحَرْبٍ﴾ أي: أعلِموا كل من لم يترك الربا بأنه حربٌ من الله ورسوله. فسمّي الأذان كذلك لما فيه من الإعلام للحضور للفرض. وخصّ بعضهم (أذَّنْتُ) بالإعلان بالصوت، و(آذَنْتُ) للإعلام المجرد[٢].

وفي الأذان لغتان: يقال: سمعت أذان المؤذّن، وسمعتُ أَذِينَ المؤذن، وسمعتُ الأذان والأَذين. قال الشاعر[٣]:

فَلَمْ نَشْعُرْ بضَوْءِ الصُّبحِ حَتَّى ... سَمِعْنَا في مَسَاجِدِنَا الأَذِينَا

وقال آخر[٤]:

ولَيْلَةَ نَاعِمٍ قد بِتُّ فيها ... إلى أنْ رَاعَني صَوتُ الأَذِينِ

والمِئْذَنَة: موضع الأذان للصلاة، والعامة تقول: مأْذَنَة، والقياس لا يأباه[٥].

* * *

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (٨١/٥١) و«الغريبين» للهروي (١٣/١).

(٢) راجع «تاج العروس» (٢٦١/٤٣، ٨٦١).

(٣) الراعي النميري كما في «النظائر» ص (٢١).

(٤) «الزاهر» (٩٢/١).

(٥) قاله الخفاجي في شفاء الغليل ص (٣٤).

١١- قولنا: «اللهُ أكبـر»

قـــال أبو العباس أحمدُ بن يحيى ثعلبٌ[1]: اختلـــف أهل العربية في معنى: الله أكبر، فقال أهل اللغة: الله أكبر معناه: الله كبير. قالوا: وأكبر بمعنى كبير. واحتجوا بقول الفرزدق[2]:

إن الذي سَمَكَ السماءَ بَنَى لنا ... بيتًا دعائمُـــه أعـزُّ وأطْوَلُ

أراد: دعائمه عزيزة طويلة. وكذا بقول الآخر[3]:

تمنَّى رجالٌ أنْ أموتَ وإن أَمُتْ ... فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوْحَدِ

أراد: لست فيها بواحد. واحتجُّوا أيضًا بقول معن بن أوس[4]:

لَعَمْري وما أدري وإني لأَوْجَلُ ... على أيِّنـــا تَعْدو المَنيَّـــةُ أوَّلُ

أراد: إني لَوجِل. وقبل ذلك احتجوا بقول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]. قالوا: معناه: وهـــو هين عليه. قال أبو العباس: وقـــال النحْويون، يعني الكسَائيَّ والفرَّاءَ وهشامًا: الله أكبر معناه: الله أكبر من كل شيء، فحذفت (من) لأن أفعـــل خبرٌ، كما تقول: أبوك أفضل، وأخوك أعقل، فمعناه أفضل وأعقل من غيره، واحتجوا بقول الشاعر[5]:

إذا ما سُتورُ البيتِ أُرْخينَ لم يكن ... سِـراجٌ لنا إلا ووجْهُك أنــورُ

أراد: أنور من غيره. وقال مَعْنُ بْنُ أَوْس[6]:

---

(١) كما في «الزاهر» (١/٩٢) وما بعدها.

(٢) «ديوانه» (٢/٥٥١)

(٣) نسب إلى طرفة بن العبد في «مجاز القرآن» (٢/١٠٣) والطبري (٣٠/٢٢٢) وليس في ديوانه ولمالك بن القين الخزرجي كما في «الاختيارين» ص (١٦١).

(٤) «ديوانه» ص (٣٩).

(٥) «معاني القرآن» (٢/٣٨) و«شرح القصائد السبع» ص (٧٦٤).

(٦) «ديوانه» ص (٨٤).

ولا بلغ المُهْدُون نحوك مِدحةً ولو صَدَقوا، إلا الَّذِي فيك أفْضَلُ أنور

أراد: أفضل من قولهم، و(من) تحذف في مواضع الإخبار ولا تحذف في مواضع الأسماء، فيقال: أخوك أفضل، ولا يقال: إن أفضلَ أخوك.

* * *

١٢- قولُنا: «أَشْهَدُ أنْ لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ»

ومعناه عند أهل العربية: أعلم أنه لا إله إلا الله، وأُبَيِّن أنه لا إله إلا الله. والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]. وذلك أنهم لما جحدوا نبوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانوا قد بينوا على أنفسهم الضلالة والكفر. وقال حسان بن ثابت[١]:

فَنَشْهَدُ أنك عبدُ المليك أُرْسِلتَ نُورًا بِدِينٍ قَيِّمْ

فمعناه: نعلم أنك عبدُ المليك، ونبين أنك عبدُ المليك. ومن ذلك قولُه تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]. قال أبو العباس ثعلب[٢]: معناه: بَيّنَ الله أنه لا إله إلا هو، وأَعْلَمَ أنه لا إله إلا هو. قال: ومن ذلك قولُهم: قد شهد الشاهدُ عند الحاكم، معناه: قد بين للحاكم وأعلمه الخبر الذي عنده.

وروى أبو بكر الخَلاَّلُ[٣] عن أبي بكر ابن حَمَّاد المُقْرِئ أنه سأل أبا عبد الله أحمدَ ابنَ حنبل قال: تُفرِّقُ بين العلم وبين الشهادة؟ قال: لا، إذا قلت أَعْلَمُ فأنا أشهد. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، وقال: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ [يوسف: ٨١]. وكذا رَوَى عنه المَيْمُونيُّ وغيرُ واحد[٤].

---

(١) «ديوانه» ص (٩٣١).
(٢) «الزاهر» لابن الأنباري (١/٢٣).
(٣) في «السنة» (٦١١-٧١١).
(٤) انظر «السنة» للخَلاَّل (١١٧)-(١٢٠) وفي المخطوط (ق ٥٠ب-ق ٥٢أ).

وقال أبو عُبَيدة مَعْمَرُ بن المُثنّى[1]: معنى قوله ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، أي: قضى الله أنه لا إله إلا هو. والقول الأول أفضل في الدلالة وأحسن مشاكلة لكلام العرب، والله تعالى أعلم.

١٣- قولُنا: «أشهد أن محمدًا رسول الله»

معناه: أَعْلَمُ وأُبيِّنُ أن محمدًا متابِعٌ للإخبار عن الله عز وجل[2]. إن «الرسول» معناه في اللغة: الذي يتابع أخبارَ من بعثه، أُخذ من قول العرب: قد جاءت الإبل رَسَلاً إذا جاءت متتابعة. قال الأعشى[3]:

يسقي ديارًا لَنا قد أصبحت غرضًا ... زَوْرًا أَجْنَفَ عنها القودُ والرُّسُلُ

والقود: الخيل، والرسل: الإبل المتتابعة. والرسول يقال في تثنيته: رسولان، وفي جمعه: رُسُـل. ومن أهل العربية من يوحده في موضع التثنية والجمع فيقول: الرجلان رسولُك والرجال رسولُك.

قال الله عز وجل في موضع: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧]، وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]. فالموضع الذي قيل فيه ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ خرج فيه الكلام على الظاهر لأنه إخبار عن موسى وهارون، والموضع الذي قال فيه: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال يونُس بن حَبيبٍ[4] وأبو عُبَيْدة[5]:

---

(١) في «مَجاز القرآن» (١/٨٩).

(٢) راجع «تهذيب اللغة» للأزهري (١٢/٣٩١) و«الزاهر» (١/٣٤).

(٣) «ديوانه» ص (٤٤).

(٤) في «المذكر والمؤنث» ص (٢٣٥-٢٣٧).

(٥) في «مجاز القرآن» (٢/٨٤).

وحّد الرســـول لأنه في معنى الرســـالة، كأنه قال: إنا رسالةُ ربّ العالمين. واحتج يونس بقول الشاعر[1]:

فأبلغِ أبا بكرٍ رسولاً سريعةً ... فَمَالَكَ يا ابــنَ الحَضْرَميّ ومَاليَا؟

أراد: رسالة سريعة. وكذا بقول الآخر[2]:

ألا مَنْ مُـبْلغٍ عَـنّي خُفَـافًا ... رســولاً بيت أهلِكَ منتهَاهَا

أراد: رسالة بيت أهلك فتنهاه. واحتج أبو عُبَيْدة بقول الشاعر[3]:

لقد كَذَبَ الواشون ما بُحْتُ عندهم ... عندهم بِسِرٍّ ولا أرسلتُهم برسولِ

أراد: ولا أرسلتهم برسالة.

وقال الفرّاء[4]: إنما وحد فقــال: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لأنه اكتفى بالرسول من الرسولين، فاكتفى بالواحد من الجمع كما في قول الشاعر[5]:

أَلِكْني إليها وخَيْرُ الرَّسُولِ ... أعلَمُهُـــم بنَوَاحــي الخَبَرْ

أراد: وخير الرسل، فاكتفى بالواحد من الجمع.

* * *

(١) «المذكر والمؤنث» ص (٢٣٦) و«المخصص» لابن سيده (٣٠/١٧) بلا عزو.

(٢) هو العباس بن مرداس في «ديوانه» ص (١١٠).

(٣) كثير عزة كما في «ديوانه» ص (١١) و«مجاز القرآن» (٨٤/٢).

(٤) انظر «معاني القرآن» للفراء (١٨٠/٢) و(٧٧/٣).

(٥) أبو ذؤيب الهذلي كما في «ديوان الهذليين» (١٤٦/١).

١٤- قولُنا: «حَيَّ عَلَى الصَّلاة»

قال الفراء: معنى «حَيَّ» في كلام العــرب: هَلُمّ وأَقبِلْ، فالمعنى: هَلُمُّوا إلى الصلاة وأقبلوا إليها. قال: وفُتحت الياء من (حَيّ) لسـكونها وسكون الياء قبلها، كما يقال: ليتَ ولعلَّ. ومنه قول عبدِ الله بن مسـعود - رضى الله عنه -: «إذا ذُكر الصالحون فحَيَّ هَلا بعمر»، معناه: فأقبلوا على ذكر عمر[1].

ويضاف في معناها كذلك: الإسراع والتعجيل في الإقبال، قال ابنُ أحمر[2]:

أنشأتُ أسألُهُ ما بالُ رُفقَتِهِ حيَّ الحُمُولِ فإنَّ الرَّكْبَ قد ذَهَبَا

أي: أسرع إليهم فقد ذهبوا. وأنشدوا لأعرابيّ:

ونحنُ في مَسْجِدٍ يدعو مؤذِّنُهُ حيَّ تعالَوا، وما نامُوا وما غَـفَلُوا

* * *

(١) راجع «الفائق» للزمخشري ٣٤٢/١) و«النهاية» لابن الأثير (٤٧٢/١).

(٢) البيت والذي بعده في اللسان ص (١٠٨٢) ط.المعارف والتاج (٣٧/٥٢٣-٥٢٤) والتكملة (٤٨٨/٣).

١٥- قولُنا: «حَيَّ على الفَلاَح»

فيه قــولان، فقال جماعة من أهل اللغة[١]: معنــاه: هَلُمُّوا إلى الفَوْز. قالوا: ويقــال: قد أفلح الرجل: إذا أصاب خيرًا. ومن ذلــك الحديث الذي يروى[٢]: (اسْتَفلِحي برأيك)، أي: فوزي برأيك. قال لَبيد[٣]:

اِعقِلي إنْ كنتِ لمَّا تَعْقِلي ... ولقد أفلح مَنْ كان ذا عَقَلْ

معناه: ولقد فاز. ومنه قول الله عز وجل -- وهو أصدق قيلاً: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة: ٥]، معناه: هم الفائزون. وقال آخرون: حيَّ على الفلاح معناه: هَلُمُّوا إلى البقاء، أي أقبلوا على سبب البقاء في الجنة. قالوا: والفَلَح والفَلاَح عند العربَ: البقاء. وأنشد في ذلك أحمدُ بن يحيى ثعلب[٤]:

لكلِّ هَمٍّ من الهُمُوم سَعَة ... والمُسيُ والصُبحُ لا فَلاَحَ مَعَه

أراد: لا بقاء معه ولا خلود. وقال لَبيد[٥]:

لو كان حيٌّ مدركُ الفَلاَحِ ... أدرَكَهُ مُلاعِبُ الرمــاحِ

وقال هــؤلاء: معنى قوله تعــالى :﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي الباقون في الجنة. قلت: وهذا المعنى محتمل، والأول أشهر وأظهر. وعلى القول الثاني فيكون الفلاَّح -- الزارع -- إنما سُمي بذلك لطول بقائه ومكثه في أرضه، وقيل: بل سمي بذلك لأنه يفلح الأرض، أي يشقُّها، ومنه قول الشاعر[٦]:

قد عَلِمَتْ خيلُك أينَ الصَحْصَحُ ... إن الحديدَ بالحــديدِ يُفلحُ

أيَ: يُشقُّ.

---

(١) انظر «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/٢٥) و«الزاهر» (١/٣٨).

(٢) «غريب الحديث» (٤/٦٦).

(٣) «ديوانه» ص (١٧٧).

(٤) «غريب الحديث» (٤/٣٨) و«الشعر والشعراء» ص (٣٨٣).

(٥) «ديوانه» ص (٣٣٣).

(٦) «شــرح القصائد الســبع» ص (١٨١) و«اللســان» (فلح) بلا عزو، والصحصح: الأرض الجرداء المستوية.

١٦- قولُنا: «قد توضَّأ الرجل للصلاة»

معنى توضأ في كلام العرب: تنظَّف وتَحسَّـــن[١]، أُخذ من الوَضَاءة، وهي النظافة والحسن. يقال: وجه وَضِيء، أي حَسَن، وأَوْجُهٌ وِضاء: قال الشاعر:

مَسَامِيحُ الفِعَالِ ذَوُو أَنَاةٍ مَرَاجِيْحٌ وأَوْجُهُهُمْ وِضَاءُ[٢]

وقـــال بَعض أهل العربية: كل من غســـل عُضْوًا مـــن أعضائه فقد توضأ، واســـتدلُّوا بقول النبي – صلى الله عليه وســـلم -: (توضَّؤوا مما غَيَّرتِ النار)[٣]، قالوا: معناه: اغســـلوا أيديَكم، على قول من لا يوجبُ الوضوءَ مما مسَّت النار؛ وليس هذا بمســـلَّم، وما من قرينة تشهد بالإعراض عن ظاهر الحديث إلا أن يقال بالنســـخ، وأن آخر الأمرين منه – صلى الله عليه وســـلم – كان تركَ الوضوء مما مست النار، والنسخ يدل على صحة ظاهر الحديث السابق لا ضده، وبسط هذا له موضع آخر.

واستدلوا أيضًا بقول قَتَادة: (من غَسَل يدَه فقد توضأ)، وكذا بقول الحَسَن: (الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر، والوضوء بعد الطعام ينفي اللَّمَم)[٤]. ولكن على هـــذا القولِ أيضًا فالوضوء للصلاة لا يجزئ منه إلا ما أجمع المسلمون عليه، من المضمضة والاستنشـــاق ومسح الرأس وغسل القدمين وغير ذلك. والوضوء أيضًا بضم الواو وفتحها اسم للماء الذي يُتَوضَّأ به، كما يطلق السحور على ما يُتَسَحَّر به إلى غير ذلك. وقال بعضهم: بل الوَضوء بالفتح مصدر[٥]، وهو خلاف ما عليه غالب أهل اللغة.

---

(١) انظر «غريب الحديث لابن قتيبة (١/٨)

(٢) "أمالي" المرتضى (١/٣٩٧) و"الزاهر" (١/٣٩) بلا عزو

(٣) أخرجه مسلم والنسائي وأحمد في المسند (٥/١٨٩) من حديث زيد بن ثابت

(٤) راجع قولي قتادة والحسن في «النهاية» لابن الأثير (٥/١٩٥) و»الزاهر» (١/٤٠)

(٥) انظر «أمالي» المرتضى (١/٣٩٦-٣٩٧)

١٧ - قولُنا: «قد تيمَّمَ الرجل»

معناه شرعًا: مسح التراب على يديه ووجهه، وأصل تيمّم في اللغة[١]: قَصَد، فمعنى تيمم: قصد التراب فتمسح به. قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، أي: لا تقصدُوه وتَعْمَدُوا إليه. قال الشاعر[٢]:

وفي الأظْعَانِ آنِسَةٌ لَعُـوبُ ... تَيَمَّمَ أهلُها بَلَدًا فسَـاؤوا

أراد: قصد أهلها بلدًا، وقال امرؤ القيس[٣]:

تَيَمَّمتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وأَهْلُهَا ... بيَثْرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عالي

وقال الله عز وجل: ﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]، معناه: اقْصِدوا وتَعَمَّدوا. ويقال: أَمَمْتُ الرجل وتأمَّمْتُه وتيمَّمْتُه: إذا قصدتُه. قال الله عزَّ وجل: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]، معناه: ولا قاصدين. وقال الشاعر:

إنّي كَذَاك إذا ما سَاءَنِي بَلَدٌ ... يمّمت صَدْرَ بعيري غَيْرَهُ بَلَدا

* * *

(١) انظر «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/١٥)

(٢) بشر بن أبي خازم كما في ديوانه ص ٦٤

(٣) «ديوانه» ص (٣١).

١٨- قولُنا: «قد صلَّى الرجل»

معناه قد دعا وسأل ربَّه. والصلاة تنقسم في الكلام إلى ثلاثة أقسام[١]:

تكون الصلاة المعروفة بهيئتها التي فيها الركوع والسجود وغير ذلك، كما قال عز وجل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]؛

وتكون الصلاة: الترحُّم، من ذلك قوله عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، ومن ذلك قول كَعبِ بن مالك[٢]:

صلَّى الإلهُ عليهِمُ من فِتْيَةٍ وَسَقَى عِظَامَهُمُ الغَمامُ المُسْبِلُ

وقال الآخر[٣]:

صَلَّى على يَحْيى وأشياعِهِ ربٌّ كريمٌ وشفيعٌ مطاع

ومنه الحديث الذي يرويه عبد الله بن أبي أَوْفَى قال: (أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - لصدقة عامنا فقال: اللهم صلِّ على آل أبي أَوْفَى)[٤]، فمعناه: ترحَّمْ عليهم.

وتكون الصلاةُ: الدعاء، من ذلك الصلاة على الميت، معناه الدعاء له، وإلا فإنما لا ركوعَ فيها ولا سجود. ومن ذلك قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا دُعِيَ أحدُكم إلى طعام فلْيُجِبْ، فإنْ كان مضطرًا فليأكل، وإن كان صائمًا فليُصَلِّ)[٥] معناه: فليدْعُ لهم بالبركة والخير ونحو ذلك.

---

(١) انظر «الوجوه والنظائر» ص (٥٦).

(٢) «ديوانه» ص (٢٦١).

(٣) لبكير بن معدان في «التعازي والمراثي» ص (٨٤) وللسفاح بن بُكير في «المفضليات» ص (٣٢٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٠٧٨) وغيره. وانظر «النهاية» لابن الأثير (٣/٥٠).

(٥) أخرجه مسلم (١٤٣١) وأبو داود (٢٤٦٠) والترمذي (٧٨٠) والنسائي (٣٥٠١) والحميدي (١٠١٢) وابن أبي شيبة (٣/٦٤) وأحمد (٢/٢٧٩، ٥٠٧) من حديث أبي هريرة.

ومنـــه قوله - صلى الله عليه وســـلم -: (إن الصائـــم إذا أُكِل عنده صَلَّتْ عليه الملائكةُ)[1]، أي: دعت له الملائكة. ومن ذلك قول الأعشى[2]:

عليكِ مثل ما صَلَّيتُ فاغْتَمِضي نومًـــا فإن بجانـــب الأرض ضطجعا

وقال الأعشى أيضًا:

لها حارسٌ لا يَبْرَحُ الدهرَ بَيْتَها وإن ذُبحت صلَّى عليها وزَمْزَمَا

أراد: دعا لها بالسلامة.

* * *

(١) أخرجه أحمد (٦/٤٣٩) والترمذي (٧٨٥) والنسائي (٩٢١٣) وابن ماجة (١٧٤٨) وغيرهم من حديث أم عمارة بنت كعب الأنصارية.

(٢) «ديوانه» ص (٧٣).

١٩ - قولُنا: «قد صام الرجل»

معناه في اللغة: قد أمسك عن الطعام والشراب، وكل من أمسك عن الطعام والشراب أو عن الكلام فهو عند العرب صائم[1]. من ذلك قوله عز وجل قاصًّا عن مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦]، فمعناه صمتًا. يقال: خيلٌ صيام، إذا كانت قائمة بغير اعتلاف ولا حركة. قال الشاعر[2]:

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ ... تحت العَجاجِ وخيلٌ تعلُكُ اللُّجُما

ويقال للصائم: سائح، لتركه الطعام والشراب. قال الله عز وجل: ﴿السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]، فالسائحون الصائمون وقال في موضع آخر: ﴿ثَيِّبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾ [التحريم: ٥]، فمعناه: صائمات، وقال أبو طالب[3]:

وبالسائحين لا يذوقون قطرةً ... لربهم والرَّاتِكاتِ العَوَامِلِ

* * *

(١) انظر «غريب الحديث» لابن قتيبة (٦٣/١)

(٢) النابغة الذبياني كما في «ديوانه» ص (١١٢).

(٣) «الزاهر» (٤٦/١).

٢٠- قولُنا: «قد ركع الرجل»

معناه في اللغة: قد انحنى[١]، يقال: قد ركع الشيخ: إذا انحنى من الكبر، قال لَبيدٌ[٢]:

أليسَ وَرَائي إن تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي ... لُزومُ العَصَا تُحْنَى عليها الأَصَابِعُ

أُخبِّر أخبارَ القُرونِ التي مضَتْ ... أدِبُّ كأنِّي كلما قمتُ راكِـعُ؟

وقال الأَضْبط بن قريع[٣]:

ولا تُعَـادِ الفقـيرَ علَّك أنْ ... تركعَ يومًا والدهـرُ قد رفَعَـهْ

أراد: لعلك أن تنخفض وتنحني.

وقال ثعلب: الركوع: الخضوع، رَكَعَ يركَعُ رَكْعًا ورُكُوعًا: طَأْطَأَ رأْسَه[٤]. ويقال: ركع الرجل إذا افتقر بعد غنًى وانحطَّتْ حالُه[٥]. وقال الراغب الأصبهاني[٦]: (الركوع: الانحناء، فتارةً يستعمل في الهيئة المخصوصة في الصلاة كما هي، وتارةً في التواضع والتذلل، إما في العبادة، وإما في غيرها). وكانت العرب في الجاهلية تُسمِّي الحنيفَ راكعًا إذا لم يعبد الأوثان، ويقولون: ركع إلى الله، أي اطمأن[٧].

---

(١) انظر «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢١/١) و«اللسان» (١٧٨/٥) و«تاج العروس» (١٢٢/٢١).

(٢) ديوانه ص (١٧٠-١٧١) و«مقاييس اللغة» (٤٣٥/٢) و«اللسان» و«التاج».

(٣) كما في «البيان والتبيين» (٣٤١/٣) و«الشعر والشعراء» ص (٣٨٣)، «الحماسة الشجرية» (٤٧٤/١) و«البصرية» (٣/٢) و«أمالي» القالي (١٠٧/١) و«الأغاني» (١٢٩/١٨) و«اللسان» و«التاج».

(٤) «التاج» (١٢٢/٢١).

(٥) «أساس البلاغة» (٣٨٢/١).

(٦) كما في «التاج» (١٢٢/٢١).

(٧) «الأساس» (٣٨٢/١) و«التاج» (١٢٣/٢١).

٢١- قولُنا: «قد سجد الرجل»

معناه في اللغة: قــد انحنى وتطامن ومال إلى الأرض(١)، من قول العرب: قد سجدت الدابة وأسْجَدَت، إذا خفضت رأسها لتُركب. قال الشاعر(٢):

وكلتاهما خرَّت وأَسْجَد رأسُها كما سَــجَدت نصْرانةٌ لم تُحنَّف

ويقال: قد سـجدت النخلة، إذا مالت، ونخلة ساجدة ونخل سواجد. ومن ذلك قول الله عز وجـل: ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [الرحمن: ٦]. قال الفرّاء: معناه: يستقبلان الشـمس ويميلان معها حتى ينكسِر الفيْء(٣)، والأقرب أنه على ظاهره.

ويكون الســجود على جهة الخشوع والتواضع والتذلل، كقوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ ﴾ [الحج: ١٨]. فسجود الشمس والقمر والنجوم والجبال على جهة التواضع والتذلل لخالقها عز وجل. قال الشاعر(٤):

ســاجدَ المنْخَرِ لا يرفعُــه خاشعَ الطَّرْفِ أصَمَّ المُسْتَمِعْ

أراد: خاضعًا ذليلاً. وقال الآخر(٥):

بجمعٍ تضِلُّ البُلْقُ في حَجراته تَرى الأُكْمَ منها سُــجَّدًا للحوافِرِ

أراد: خاشعة ذليلة.

---

(١) راجع «الأضداد» للأصمعي ص (٤٣) و«أضداد» أبي الطيب ص (٣٧٨).

(٢) أبو الأخزر الحماني كما في كتاب سيبويه (٢/٢٩، ١٠٤) و«الإنصاف» ص (٤٤٥).

(٣) «معاني القرآن» (٣/١١٢).

(٤) سُوَيْد بن أبي كاهل كما في «ديوانه» ص (٣٤) وانظر «الأضداد» ص (٢٩٥).

(٥) زيد الخيل كما في «ديوانه» ص (٦٦).

ويكون السجود على معنى التحية، كقول الشاعر[1]:

قد كان ذو القَرْنين جَدّي مُسْلمًا ... مَلِكًا تدينُ له الملوكُ وتَسْجُدُ

أراد: تُحيِّيه، وذلك أنهم كانوا في ذلك الزمان إذا أراد الرجل منهم أن يحيِّي صاحبه ويعظِّمَه سجد له، فكان السجود لهم بمنزلة المصافحة لنا اليوم، وكما نرى إلى عصرنا هذا في بعض نواحي آسيا وغيرها. ومن ذلك قوله عز وجل مخبرًا عن إخوة يوسف - عليه السلام -: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠].

* * *

٢٢- قولُنا: «بِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ»

قال الحَسَن: الباء: بهاء الله، والسين: سناء الله، والميم: مجد الله، والرحمن: الرقيق، والرحيم: أرق من الرحمن. وقال ابن عباس: الرحمن الرحيم: اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر. فالرحمن: الرقيق، والرحيم: العاطف على خلقه بالرزق[2].

قال أبو عبيدة[3]: الرحمن مجازه عند العرب: ذو الرحمة، والرحيم: الراحم. قال: وربما سوَّت العرب بين فعلان وفعيل، فقالوا: ندمان ونديم. وقال الشاعر[4]:

فإنْ كنت ندماني فبالأكبر اسْقِني ... ولا تسقِني بالأصغر المُتَثَلِّم

لعلَّ أميرَ المؤمنين يَسُوؤهُ ... تنادُمنا بالجَوْسَقِ المُتَهَدِّمِ

---

(١) البيت بلا عزو في «الأضداد» ص (٢٩٥) و«الزاهر» (١/٤٧).

(٢) راجع تفسير ابن عطية (١/٢٨٧) والقرطبي (١/٩١).

(٣) في «مجاز القرآن» (١/٢١).

(٤) النعمان بن عدي بن نضلة كما في «الاشتقاق» ص (١٣٩) و«فتوح البلدان» ص (٤٧٤) و«تاريخ عمر بن الخطاب» ص (١١٧). والجوسق: الحصن أو القصر.

وقال حسان بن ثابت:

لا أَخدِشُ الخَدْشَ بالجليس ولا يخشى نَديمي إذا انْتَشَيْتُ يَدي
أهوى حديث النّدمانِ في فَلَقِ الصبْحِ وصوتَ المُغرِّدِ الغَرِدِ[1]

وقال قُطْرُب[2]: يجوز أن يكون جمع بينهما على جهة التوكيد، ومعناهما واحد. كما قال الله جل ثناؤه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]، والطيران لا يكون إلا بالجناح. واحتج بقول عَديّ بن زيد[3]:

وجعل الشمس مِصرًا لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فَصَلا

أراد: بين النهار والليل، فأدخل (بين) على جهة التوكيد. وقال أبو العباس ثعلب: إنما جمع بين الرحمن والرحيم لأن الرحمن عِبْرَانيٌّ، فجاء معه بالرحيم العربي. وأنشد جريرٍ يهجو الأَخْطَلَ[4]:

أَوَ تَتْركون إلى القِسّين هجرَتَكم ومَسْحَكم صُلْبَهُم رحمان قربانًا

قلت: وفي البسملة وجوهٌ نَحْوية كثيرة، ليس هذا محل بسطها.

* * *

(١) ديوان حسان ص ١٥٠ و"الزاهر" (١/٥٨)

(٢) كما في «الزاهر» (١/٥٨-٥٩).

(٣) «ديوانه» ص (١٥٩)، وينسب أيضًا لأمية بن أبي الصلت كما في «ديوانه» ص (٤٦٠).

(٤) «ديوانه» ص (١٦٧).

٢٣- قولُنا: «سَمِع اللهُ لمن حَمِدَه»

معناه: أجاب اللهُ من حَمِدَهُ، واللهُ سامعٌ على كل حال. وكذلك: سمع اللهُ دعاءك، معناه: أجاب اللهُ دعاءك. وأنشد ابن الأعرابي[1]:

دعوتُ اللهَ حتى خِفْتُ أنْ لا ... يكونَ اللهُ يَسْمَعُ ما أقولُ

معناه: يجيب ما أقول.

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي موسى الأشعري قال: (كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سَفرٍ فأشرفنا على وادٍ -وذكر أبو موسى من هوله- فجعل الناسُ يكبِّرون ويهللون ورَفَعُوا أصواتهم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أيها الناس أربِعُوا على أنفسكم، إنكم لا تَدْعُون أصمَّ ولا غائبًا، إنه سميعٌ قريب) وفي لفظ: (إنه معكم) وفي لفظ: (بل تدعون سميعًا بصيرًا)[2].

وأربِعُوا على أنفسكم: أي ارفقوا بأنفسكم، من رَبَع. وفيه نَهْيٌ عن الصياح بالذكر والدعاء كما يُفعَل في القنوت وغيره في زمننا هذا.

* * *

---

(١) البيت لشمير بن الحارث الضبي كما في «نوادر» أبي زيد ص (٤٢١) و«الخزانة» (٢/٣٦٣) و«الفائق» (٢/٢٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٠٥) ومواضع، ومسلم (٢٧٠٤) وأبو داود (١٥٢٦-١٥٢٨) والنسائي (٧٦٣٢) وابن ماجه (٣٨٢٤) وأحمد (١٩٥٢٠) وابن خزيمة (٢٥٦٣) وابن حبان (٨٠٤) وغيرهم من حديث أبي موسى الأشعري.

٢٤- قولُنا بعد الفاتحة والدعاء: «آمِيـن».

قال ابن العباس والحسن: معنى آمين: كذلك يكون. وقال مجاهد: آمين اسم مـن أسماء الله تعالى[١]. ويروى عن ابن عباس أنه قال: (ما حَسَـدَتْكُم النصارى على شيء كما حَسَدَتْكُم على آمين)[٢]. وفيها لغتان: آمين بالمد، وأمين بالقصر. وأنشد أبو العباس[٣]:

تباعَد مني فُطْحُلٌ إذ سَأَلتُه ... أَمِينَ فـزادَ اللهُ ما بيننا بُعدَا

وقال أبو حُرَّة - مولى لأهل المدينة - يهجو ابن الزبير[٤] - رحمه الله -:

ولا نقول إذ يومًا نُعيتَ لنا ... إلا بآمـين رب الناس آمينِ

وأنشدوا في قصر آمين[٥]:

أمِينَ ومن أعطاك مني هَوادةً ... رَمَى اللهُ في أطرافه فاقْفَعَلّتِ

وأنشدوا في مدِّها[٦]:

يا رب لا تسلُبَنِي حُبَّها أبدَا ... ويرحـمُ اللهُ عَبْدًا قال آمينَا

والنون في آمينَ مفتوحة لسكونها وسكون الياء التي قبلها، كما تقولُ العرب: ليتَ ولعلَّ.

* * *

---

(١) راجع الأقوال فيها في «تفسـير غريب القرآن» ص (١٢) و«زاد المسير» (١/١٧) و«تفسير القرطبي» (١/١٢٧).

(٢) «سنن ابن ماجة» (٢٧٩).

(٣) «إصلاح المنطق» ص (١٧٩) و«الصحاح» (١/١٨٨) دون عزو.

(٤) «العقد الفريد» (٦/١٧٦) و«عيون الأخبار» (٢/٣١) و«الزاهر» (١/٦٦).

(٥) «الزاهر» (١/٦٧)، واقفعلت: أي انقبضت وتشنَّجَت.

(٦) «إصلاح المنطق» ص (٩٧١) بلا عزو، وهو للمجنون في «ديوانه» ص (٣٨٢).

٢٥- قولُنا: «اللهم أدخلنا جَنَّةَ عَدْنٍ»

الجنة لغة: البستان. قال الشاعر[١]:

وإذا أهلُ جنَّة حَصَّنُوها حين تَغْشَى نَوَائِبٌ وحُقوقُ

بَذَلُوها لابن السبيل وللعَا فـي فللمُتَعفِّفِين طريقُ

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى[٢]: العَدْن: الإقامة، يقال: عَدَنَ الرجل في الموضع: إذا أقام فيه. وإنما سُمي معدِنُ الذهب والفضة معدنًا لإقامتهما فيه. قال الأعشى[٣]:

وإن يَسْتَضيفوا إلى حِلْمِه يُضَافـوا إلى راجح قد عَدَنْ

وقال الحسن: قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لكعب الأحبار: إني سمعت الله عز وجل يذكر عَدْنًا في غير موضع من القرآن، فما هو؟ قال: هو قصر في الجنة، لا يسكنه إلا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيد[٤]. وقال الحكم بن عُتَيْبَة: عدْن قصر في الجنة، لا يسكنه إلا نبيٌّ أو صديق أو مُحَكَّمٌ في نفسه[٥]. والمُحَكَّمُ في نفسه: الذي يُخيَّرُ بين القتل والكفر، فيختارُ القتل على الكفر.

وقال ابن عُمَر[٦]: (خلق الله أربعة أشياء بيده: العرشَ والقلمَ وآدمَ وعَدْنًا، وقال لسائر الأشياء: كوني فكانت). ولا يَثْبُتُ.

* * *

---

(١) «الزاهر» (١/٤٩٨).

(٢) في «مجاز القرآن» (١/٢٦٣).

(٣) «ديوانه» ص (١٧).

(٤) «تفسير الطبري» (١٠/١٧٩) والقرطبي (٨/٢٠٤) و«الزاهر» (١/٢٩٨).

(٥) «تفسير الطبري» (١٠/١٧٩) والقرطبي (٨/٢٠٤).

(٦) «الزاهر» (١/٩٩٤) والطبري (١٠/٩٧١).

٢٦- قولُنا: «اللهم أدخلنا الفِرْدَوس»

قال الفراء[١]: الفردوس عند العرب: البستان الذي فيه الكروم. وقال الكلبي[٢]: الفردوس: البستان الذي فيه الكروم بالرومية. وقال السُّدِّيُّ[٣]: الفردوس أصله بالنبطية «فَرْدَاسا». وقال عبد الله بن الحارث[٤]: الفردوس: الأعناب.

وروى الحسن عن سمرة بن جندب أنه قال: الفردوس ربوة خضراء في الجنة، هي أعلاها وأحسنها[٥]. وروى لقمان بن عامر عن أبي أُمَامَة أنه قال: الفردوس سُرَّة الجنة[٦]، واستدل من قال بأن الفردوس كلمةٌ عربية بقول حسان بن ثابت[٧]:

وإن ثوابَ الله كلَّ موحدٍ ... جنانٌ من الفردوس فيها يُخَلَّدُ

وقال عبد الله بن رَوَاحَة[٨]:

في جَنَّاتِ الفردوسِ ليس يخافون ... خُروجًا منها ولا تَحْويلاَ

قلت: والقول الأول أقرب، أي أنها رومية (لاتينية) معرَّبة، وهو قول مجاهد بن جبر[٩] أيضًا، والله تعالى أعلم.

---

(١) في «معاني القرآن» (٢/٢٣١)، وانظر «زاد المسير» (٥/١٩٩).
(٢) «معاني القرآن» (٢/٢٣١) و«الزاهر» (١/٥٠٢). وهو باللسان الإفرنجي (بارادايز).
(٣) «زاد المسير» (٥/٢٠٠).
(٤) «الزاهر» (١/٥٠٢)
(٥) «تفسير الطبري» (١٦/٣٨)، و«الزاهر» (١/٥٠٣).
(٦) «تفسير الطبري» (١٦/٣٦).
(٧) «ديوانه» ص (٣٣٩).
(٨) «المذكر والمؤنث» ص ٣٧٠ و«زاد المسير» (٥/٢٠٠).
(٩) انظره في «المتوكلي» ص (٨)، وهو اختيار الزجَّاج أيضًا، راجع: «الصحاح» للجوهري (١/٧٦٤) و«المعرب» لابن الجواليقي ص (١١٠) و«شفاء الغليل» للخفاجي ص (٨٤١).
وهي في الفرنسية المعاصرة *Paradis* وفي الإنجليزية *Paradise*.

٢٧- قولنا: «اللهم تغمَّدْنا منك برحمة»

معناه: اللهم استرنا منك برحمة، وهو مأخوذ من قولهم: غمدتُ السيف في غِمْده، إذا سترتُهُ فيه. ومن ذلك قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (لا يدخل أحدٌ الجنّةَ بعمله. قيل: ولا أنت يا رســول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمّدني الله منه برحمة)[1].

قال الشاعر[2]:

نَصَبْنا رِماحًا فوقها جَدُّ عامرٍ ... كظِلِّ السَّـماءِ كُلَّ أرض تَغَمَّدَا

أراد: كما أن ظل السماء يستر كل أرض ويظلُّها، فكذلك نحن نقهر ونغلب كل منازِع.

* * *

---

(١) أخرجــه البخاري (٥٦٧٣) ومواضع ومســلم (٢٨١٦) وأحمد (٢/٢٥٦) ومواضع كثيرة وابن ماجة (٤٢٠١) والبغوي في «شـرح السنة» (٤١٩٢-٤١٩٤) من حديث أبي هريرة. وكذا البخاري (٦٤٦٤) ومسلم (٢٨١٨) والنسائي (٥٨٩٨) وأحمد (٦/١٢٥) من حديث عائشة، ومســلم (٢٨١٧) وأحمد (٣/٣٣٧) والدارمي (٢/٣٠٥) من حديث جابر بن عبد الله، وأحمد (٣/٥٢) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) ابن مُقْبِل كما في «ديوانه». وراجع أيضًا «غريب الحديث» لابن قتيبة (٣/١٦٥).

٢٨- قولُنا: «اللهم لا تُنَاقِشْنا الحساب»

معناه: لا تستقصِ علينا في الحساب حتى لا تترك منه شيئًا. والمناقشة معناها في اللغة الاستقصاء، من ذلك قولهم: قد انتقشتُ حقي من فلان، معناه: قد استخرجتُه ولم أتركْ منه شيئًا. قال الحارث بن حِلِّزَة يعاتب قومًا[١]:

أونَقَشْتُم فالنَّقْشُ يَجْشُمُهُ القَوْمُ ... وفيه الصَّلاحُ والإبْرَاءُ

يقول: لو كانت بيننا وبينكم محاسبة ومناظرةٌ لعرفتم الصحة والبراءة. وقال أبو عبيد القاسم بن سَلاَّم[٢]: لا أحسب نقش الشوكة أُخذ إلا من هذا، وهو أن تُستخرج ولا يبقى في البدن منها شيء. قال: وإنما سُمي المنقاش منقاشًا لأنه يُستخرج به الشوك ويُنقش به. قال الشاعر[٣]:

لا تَنْقُشَنَّ برِجْلِ غيرِكَ شوكة ... فتقي برِجْلِكَ رِجْلَ مَنْ قد شاكَها

أراد: لا تَسْتَخْرِج الشوكة من رحل غيرك ثم تدخلها في رحلك، وهو معنى بليغ يصدق في كل عيب.

ومن الانتقاش قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (من نُوقِشَ الحسابَ عُذِّب)[٤]، أي: من استقصى عليه فيه، ولم يُتجاوز عنه.

---

(١) «ديوانه» ص (١٢).

(٢) في «غريب الحديث» (١/٢٠١).

(٣) «شرح القصائد السبع» ص (٤٦٨) و«الزاهر» (١/٣٠٨) و«اللسان» (٤/٢٠٨) دون عزو.

(٤) أخرجه - بألفاظ متقاربة - البخاري (١٠٢) و(٤٩٣٩) و(٦٥٣٦) و(٦٥٣٧) ومسلم (٢٨٧٦) وأبو داود (٣٠٩٣) والترمذي (٣٣٣٧) وأحمد (٦/٤٧، ١٠٨، ١٢٧، ٢٠٦) وابن حبان (٧٣٦٩-٧٣٧٢) والطبري في تفسيره (٣٠/١١٥-١١٦) والحاكم (١/٥٧، ٢٥٥) و(٤/٢٤٩، ٥٧٩) والبيهقي في «الاعتقاد» ص (٢٠٩-٢١٠) والبغوي في «شرح السنة» ٤٣١٩، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣٣٨) من طرق من حديث عائشة - رضي الله عنها - وانظر «غريب الحديث» لأبي عبيد (١/٢٠١).

٢٩- قولُنا: «السلام عليكم ورحمة الله»

في السـلام قولان: فقال قوم: السـلام: الله عز وجـل، فيكون المعنى: الله عليكم، أي على حفظكم. وقال آخرون: السـلام عليكم معناه: السلامة عليك، قالوا: فالسـلام جمع السلامة، قال الله عز وجل: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وفيه قولان، قال قوم: السلام: المُسَلِّمُ لعباده. وقال آخرون: معناه ذو السلام، أي: صاحب السلام. قالوا: وحذف الصاحب وأقام السلام مكانه، كما قال عز وجل: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣]، أراد: وأُشربوا في قلوبهم حُبَّ العجل، وكما قال النابغة[١] يمدح النعمان بن المنذر:

ولا يَحُولُ عطاءُ اليومِ دونَ غدِ

أي: دون عطاء غد. وقال عروة بن الورد[٢]:

قليـلٌ عيبُه والعَيبُ جَمٌّ ... ولكنَّ الغِنَـى ربٌّ غَفُـورُ

قـال ابن الأنباري[٣]: أراد: ولكن الغنى غنى رب غفور، فحذف الغنى وأقام الـذي بعده مقامه. قلت: كـذا قال، والمعنى دون تقدير حـذف أجود. يريد: الممدوح قليل العيب، وعيوبنا كثـيرة، ولكن الغنى التام في وجود الرب الغفور، يسـتوي في ذلك المقل والمكثر من العيوب، فجمع بين المدح لصاحبه والاعتذار لنفسه والثناء على الله عز وجل.

---

(١) «ديوانه» ص (٢٢، ٢٤).

(٢) «ديوانه» ص (٩٢)، وانظر «خزانة الأدب» للبغدادي (٤/١٩٤).

(٣) في «الزاهر» (١/٦٥).

وقال جماعة: السلام: هو مَنْ سَلِم من النواقص والعيوب، والسلام ينقسم في كلام العرب على أربعة أقسام: يكون السلام: التسليم، كقولك: سلّمت على الرجل سلامًا، أي سلمت عليه تسليمًا، كما قال الشاعر[1]:

فقلْتُ السلامَ فاتّقَت من أميرها | فما كان إلا وَمْؤُها بالحَوَاجِبِ

وقال الآخر[2]:

كلامُكَ ياقـــوتٌ ودُرٌّ منـَـظَّمُ | فَمُنِّي علينـــا بالســلام فإنما

ويكون الســـلام: الله عز وجل، فهو اســـم من أسمائه، كما قال عز وجل: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣].

ويكون السلام: جمع سلامة. ويكون السلام: الشجر العظام الفخام، مفردها سلامة، قال الأخطل[3]:

فرابيةُ السكرانِ قَفْرٌ فما بها | لهم شَبَحٌ إلا سَلامٌ وحَرْمَلُ

والسِّلام – بكسر السين -: الصخور، واحدها سَليمة، قال لبيد بن ربيعة[4]:

فَمَدَافِعُ الريَّانِ عُرِّيَ رَسْمُها | خَلَقًا كما ضَمِن الوُحِيَّ سِلامُها

أراد: كما ضمن صخورها. وقال آخر[5]:

ذاك خَلِيــلِي وذو يُعاتبني | يرمي وَرَائي بالسَّهم والسِلَمَة

ويقال: السلام عليكم من المسالمة، معناه: نحن سَلَمٌ لكم.

---

(١) «معـــاني القرآن» (١/٤٠) و(٢/٢١) و(٣/١٢٤) و«إيضاح الوقف والابتداء» ص (٩٠٧) و«الزاهر» (١/٦٥) و«اللسان» (٥/١٨٨).

(٢) «الزاهر» (١/٦٥).

(٣) «ديوانه» ص (١٤) والسكران: موضع بالشام، وحرمل: نبات.

(٤) «ديوانه» ص (٢٩٧) ومدافع الريان: موضع.

(٥) بجير بن عنمة الطائي كما هو في «المؤتلف» ص (٧٥) و«اللسان» (سلم).

٣٠- قولُنا: «الحمد لله والشكر»

تخطئ العامة في تأويل الحمد والشكر، فتظن أن الحمد والشكر بمعنى واحد، وليسا كذلك[١]، لأن الحمد في لغة العرب: الثناء على المرء بصفاته الكريمة، إذا قال الرجل: حمدتُ فلانًا فمعناه: أثْنَيْتُ عليه، ووصفتُه بكرمٍ أو شجاعة أو حَسَبٍ ونحوِ ذلك. قال الشاعر[٢]:

فألفيتُه فيضًا كثيرًا عطاؤُه ... جوادًا متى يُذكَرْ له الحمدُ يزْدَدِ

معناه: متى يذكر له الثناء. وقال زهير بن أبي سلمى[٣]:

فلو كان حَمْدٌ يُخْلِدُ النَّاس لم يَمُت ... ولكنَّ حمدَ النـاسِ ليس بمُخْلِدِ

أراد: فلو كان ثناءٌ يخلد الناس. وقال آخر[٤]:

إني رأيت الناس يَحْمدُوْنَكا ... يُثْنُون خيرًا ويَمْجُدُوْنَكا

وقال المتنبي:

إذا الجود لم يُرْزَق خَلاصًا من الأذى ... فلا الحمدُ مكسوبًا ولا المالُ باقيا

أما الشكر فمعناه: أن تصف الرجل بنعمة سبقت منه إليك. وفي الأثر: (من أُزِلَّت إليه نعمةٌ فليشكُرْها)[٥]، أي فليصفْ صاحبها بإنعامِه عليه. وقد يقع الحمد على ما يقع عليه الشكر، ولا يقع الشكر على ما يقع عليه الحمد. والدليل على هذا أن العرب تقول: قد حمدتُ فلانًا على حسن خلقه وعقله وشجاعته ونحو ذلك، ولا تقول: قد شكرته على ذلك. فالحمد أعمُّ من الشكر[٦]، فلذلك افتتح الله عز وجل فاتحة الكتاب فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

---

(١) انظر «أدب الكاتب» لابن قتيبة ص (٣١).

(٢) «الزاهر» لابن الأنباري (١/٧٨).

(٣) «ديوانه» ص (٢٣٦).

(٤) «معاني القرآن» (١/٢٦٠) و(١/٣٢٣) و«خزانة الأدب» (٣/١٥) و«المذكر والمؤنث» ص (٣٢٣).

(٥) «غريب الحديث» (١/١٤)، وأزلت: أسديت.

(٦) انظر «الزاهر» (١/٩٧).

٣١- قولُنا: «وإليك نسعى ونحفِد»

معناه: نَخْدِمُك ونَعْمَلُ لك[١]، يقال: قد حَفَد الرجل يحفِد حَفْدًا: إذا خدم، قال الشاعر[٢]:

حَفَدَ الولائد بينهُنَّ وأسْلَمَت   بأكُفهـنَّ أزِمَّـة الأجمال

أراد: خدم الولائد. وقال أبو عبيد: حفد يحفِد، وأحْفَدَ يُحفِد. وقال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]. قال عبد الله بن مسعود: الحفدة: الأختان. وقال عِكرمة: الحفدة بنو الرجل، من نَفْعه منهم.

وقال الضَّحَّاكُ بن مُزَاحم: الحفدة بنو المرأة من زوجها الأول. وقال طَاووس: الحفدة الخـدم[٣]. فهذا مطابق للغة، والأقوال الأخرى غير خارجة عن الصواب، والمشهور في الاستعمال أن الحفدة والأحفاد: أولاد بني الرجل، والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) انظر «غريب الحديث» (٣/٣٧٤) و«النهاية» (١/٤٠٦) و«اللسان» (حفد).

(٢) «سؤالات» نافع بن الأزرق ص (١٠)، ونسبه القرطبي (١٢/١٤٤) إلى كثير وليس في «ديوانه»، ونسبه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٣/٣٧٤) إلى الأخطل وليس في ديوانه، ونسب في «الجمهرة» (٢/١٢٣) إلى الفرزدق وليس في «ديوانه» أيضًا. وانظر «تفسير الطبري» (١٤/٩٧-٩٨) و«مجاز القرآن» (١/٣٦٤) و«اللسان» (حفد).

(٣) راجع الأقوال السابقة في تفسير الطبري (١٤/١٤٣) وتفسير القرطبي (١٠/١٤٣) و«الزاهر» (١/٦٩-٧٠) و«معاني القرآن» للفراء (٢/١١٠).

٣٢- قولنا: «إن عَذَابك الجِد بالكُفَّار مُلْحِق»

الجِد - بكسر الجيم - الحق، والمعنى: إن عذابك الحق الذي ليس بهزل[١]، ولا يجوز الجَد بفتح الجيم في هذا الموضع، للعلة التي تقدمت في قولنا: ولا ينفع ذا الجَد منك الجد، وفي «مُلْحِق» قولان:

قال أبو عبيد[٢]: معناه: إن عذابك لاحِق، يقال: أَلْحَقْتَ القوم، بمعنى: لحقت القوم، وكذلك أَتْبَعْتُ القوم، بمعنى تبعتهم. قال الله عز وجل: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠٠].

وقال القاسم بن مَعْن: مُلحَق بالفتح أصوب من مُلحِق بالكسر. أي أن المعنى: ألحقهم الله عذابه[٣]، وأنشدوا:

أَلحِق عذابَك بالقومِ الذين طَغَوا ... وعائذًا بك أن يَعْلوا فيُطْغُوني[٤]

والوجه الثاني: إن عذابك بالكفار لاحِق: أي بالغ.

* * *

(١) انظر «النهاية» لابن الأثير (١/٢٣٨).

(٢) في «غريب الحديث» (٣/٣٧٥).

(٣) انظر «الزاهر» (١/٧١).

(٤) البيت لعبد الله بن الحارث السهمي في كتاب سيبويه (١/١٧١) و"شرح المفصل" لابن يعيش (١/١٢٣).

٣٣- قولنا: قد أوتر الرجل

معناه: قد صلى وَتــرًا. والوتر: الفرد، فإذا صلى ثلاثَ ركعات أو ركعتين ثم ركعــة واحدة فقد أوتر. قال الله عز وجـــل: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣]. قال مجاهد[١]: الشــفع: الزوجان. قال: وخَلْقُ الله كله شفع: السماء والأرض شفع، والليل والنهار شفع، والذكر والأنثى شفع، والبر والبحر شفع.

وقال بعض أهل العلم بجواز إطلاق اســم الوتر على الخالق جل وعلا، لأنه واحد لا شريك له ولا شبيه ولا مثيل. قال الشاعر[٢]:

يُقَسِّم من وَتْرٍ وشفعٍ سِجَالَه ... على العدلِ بين الناسِ يُؤْسَى وأنعما

وروى الفراء[٣] بسندٍ واهٍ عن ابن عباس قال: (الوتر آدم، شُفِّع بزوجته) أي جُعل بزوجته حواء شفعًا.

* * *

(١) «زاد المسير» (٩/١٠٦) و«الزاهر» (١/٦٧).

(٢) «الزاهر» (١/٦٧).

(٣) في «معاني القرآن» (٣/٢٦٠).

٣٤- قولنا: قد تهجَّد الرجل

معناه: قد سهر في ذكر الله عز وجل، وترك النوم(١). وتهجَّد: تفعل، من الهُجُود، وهو السهر. يقال: قد هجد الرجل هجودًا إذا سهر، وهجد هجودًا: إذا نام. فهو من الأضداد في اللغة(٢)، وهي الكلمات التي تحمل معنيين متقابلين متضادين مع اتفاقهما في التركيب والحروف والبناء. قال الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ [الإسراء: ٧٩]، أي فاسهر بذكر الله وقراءة القرآن والصلاة، وسبَّ أعرابيٌّ امرأتَه فقال: عليها لعنة المتهجدين(٣)، أي الساهرين بذكر الله. وقال الحُطَيئة(٤):

فحيَّاكِ وُدٌّ ما هداكِ لفتية ... وخوصٍ بأعلى ذي طُوَالة هُجَّدِ

يريد بالهُجَّد: السواهر. وقال المُرقش(٥):

سَرَى ليلاً خيالٌ من سُلَيمى ... فأرَّقني وأصحابي هُجُودُ

أراد بالهجود ها هنا: النيام. وقال الآخر(٦):

ألا هلك امرؤٌ ظلَّتْ عليه ... بشطِّ عُنَيزةٍ بقرٌ هُجُودُ

أراد: ظلت عليه نساء كالبقر سواهر. وقال لبيد(٧):

قال هَجِّدنا فقد طالَ السُّرَى ... وقَدَرْنَا أنْ خَنَى الدهرِ غَفَلْ

والسُّرى – بضم السين: السير بالليل، ومعنى هجدنا في هذا الموضع: نوِّمنا. فاللفظة تجمع المعنيين المتقابلين كما هو ظاهر.

---

(١) راجع «الأضداد» ص (٥٠) و«اللسان» (٨/١٤٨) و«تاج العروس» (١٥/١٠٤).

(٢) انظر «أضداد» أبي الطيب اللغوي ص (٦٧٨).

(٣) «أضداد» أبي حاتم ص (١٩٤) نقلاً عن الأصمعي.

(٤) «ديوانه» ص (١٤٨). ووُد: صنم. وخوص: إبل غائرة العيون. وذو طوالة: مكان.

(٥) شعره ص ٨٧٤.

(٦) لامرأة من بني حنيفة في «المفضليات» ص ٢٧٣ ولمرة بن شيبان في «اللسان» (٨/١٤٩) وبلا عزو في «الأغاني» (١٥/٩٧).

(٧) ديوانه ص ١٨٢. وخنى الدهر: حوادثه.

٣٥- قولُنا: قد قَنَتَ الرَّجُلُ

معناه: أخذ في الدعاء والتعظيم لله عز وجل[١]. وينقسم القنوت في كلام العرب على ثلاثة أقسام[٢]:

يكون القنوت: الطاعة والخضوع، كما قال عز وجل: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦]، أي كل له مطيعون خاضعون. ويكون القنوت: القيام في الصلاة، وخاصة طول القيام، كما قال عز من قائل: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى﴾ [آل عمران: ٤٣]، أي أكثري القيام له وأطيليه. قال الشاعر[٣]:

قانتًا لله يتلو كُتُبَهْ ... وعلى عَمد من الناسِ اعْتَزَلْ

وكذا ورد من حديث جابر بن عبد الله أن رسول اللهً - صلى الله عليه وسلم - سُئِل: أَيُّ الصلاةِ أفضل؟ فقال: (طول القنوت)[٤]، معناه: طول القيام.

ويكون القنوت أيضًا: السكوت والخشوع، كما روى زيد بن أرقم أنه قال: كنا نتكلمُ في الصلاة، يكلم أحدُنا الذي يليْه حتى نزلت: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فأمسكنا عن الكلام[٥].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: نرى أن قنوت الوتر سمي قنوتًا لأن الإنسان قائمٌ في الدعاء من غير أن يقرأ القرآن، فكأنه سكوت، إذا كان لا يقرأ فيه القرآن.

---

(١) انظر «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/٢٤)

(٢) ذكر ابن الأنباري في «الزاهر» (١/٦٨) وعنه ابن الأثير في «النهاية» (٤/١١١) قسمًا رابعًا وهو الصلاة. وأرى أن هذا المعنى يلحق بالقيام، وأن القنوت خاص بركن القيام من الصلاة لقوله عز وجل (اقنتي لربك واسجدي)

(٣) «الزاهر» (١/٦٨).

(٤) أخرجه مسلم (٧٥٦) وأحمد (٣/٣١٤،٣٠٢) والترمذي (٣٨٧) والحميدي (١٢٧٦) وابن ماجة (١٤٢١) والطيالسي (١٧٧٧) وابن حبان (١٧٥٨) والبيهقي في «السنن» (٣/٨) والبغوي في «شرح السنة» (٦٦٠) من حديث جابر. وقد ورد التصريح بأن القنوت ها هنا هو القيام عند الحميدي وغيره.

(٥) أخرجه الشيخان وغيرهما، وراجع تفسير الطبري (٢/٧٦٩-٧٧٤).

٣٦- قولنا: قد ثوَّب الرجل

معناه: قد عاد إلى الدعاء والإعلام بالأذان[١]. والتثويب معناه أن تقول: الصلاة خير من النوم. وإنما سمي تثويبًا لأنه دعاء إلى الصلاة ثانيًا. وذلك أنه قال: حي على الصلاة حي على الفلاح، كان هذا دعاءً إلى الصلاة، ثم عاد إلى ذلك فقال: الصلاة خير من النوم.

والتثويب عند العرب معناه: العودة، يقال: قد ثاب إليّ مالي أي: عاد إليّ، وقد ثاب إليه عقله أي: عاد إليه. ويكون التثويب أيضًا: الجزاء، من ذلك قول الله عز وجل: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٦]، معناه: هل جُزي الكفار في فعلهم وعملهم ما فعلوا. قال الشاعر[٢]:

أَلاَ أَبْلِغْ أبا حَنَشٍ رسولاً ... فما لَكَ لا تَجِيْءُ إلى الثوابِ

أراد: إلى الجزاء.

وهو في الاستعمال يختص بالجزاء الحسن كما هو مشهور، وإن كان في اللغة مطلقًا في الخير والشر لا جزاء الطاعة فقط[٣].

* * *

(١) انظر «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/٢٦)

(٢) سلمة بن الحارث كما في «النقائض» ص ٤٥٥ و«شرح المفضليات» ص ٤٣١.

(٣) راجع «تاج العروس» (٢/١٠٤)

٣٧- قولنا: قد اِستَنْثَر الرجل

معناه: قد أدخل الماء في أنفه[١]. ويقال للأنف عند العرب: النثرة. فاستنثر: استفعل من النثرة، أي أدخل الماء في نثرته، وهي أنفه. وكذلك استنشق الرجل معناه أدخل الماء في أنفه، وكذلك استنشق الريح، إذا أدخلها في أنفه، ويقال أيضًا: تَنشَّق الرجل: إذا أدخل شيئًا في أنفه. قالت الشاعرة[٢]:

إذا ما أتاهُ الركبُ من نحوِ أرضِها تَنَشَّقَ ويَسْتَشْفي برائحةِ الرَّكْبِ

وقال بعض أهل العلم[٣]: الاستنثار غير الاستنشاق، فإن الاستنشاق هو إدخال الماء في الأنف، والاستنثار هو استخراج ما في الأنف من أذى أو مخاط، ويدل لذلك الحديث[٤]: (إن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يستنشق ثلاثًا، في كل مرة يستنثر).

* * *

(١) «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/١٥)

(٢) علية بنت المهدي كما في «الأغاني» (١٠/١٨٢) و«الحماسة البصرية» (٢/١٣٦) و«نزهة الجلساء في أشعار النساء» ص (٨٣)

(٣) كما في «التاج» (١٤/١٧٤)

(٤) انظر البخاري (١٦٤) و(١٨٦) و(١٩٢) وصحيح سنن أبي داود (٩٩)

٣٨- قولنا: قد استنجى الرجل

معناه في اللغة: قد تمسّح بالأحجار[1]، وأصله من النّجوة، والنجوة ما ارتفع من الأرض. فكان الرجل إذا أراد قضاء الحاجة طلب النجوة من الأرض ليستتر بها، فيقال: قد مر فلانٌ ينجو، أي يطلب مكانًا مرتفعًا.

ويقال: قد أنجى الرجل ينجي إنجاء. وقد استنجى الرجل: إذا تمسح بالأحجار أو غسل الموضع بالماء. قال الله عز وجل: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: ٩٢]، معناه: فاليوم نلقيك على نجوة من الأرض. وأنشد الفراء[2]:

وَمَوْلًى رَفَعْنَا عن مسيلٍ بنجوةٍ ... وجارٍ أَبَيْنَا أن يكون لأَوَّلا

وقال أوس بن حجر[3]:

فمن بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بِمَحْفِلِه ... والمُسْتَكِنُّ كمن يمشي بقِرْوَاحِ

* * *

(١) انظر «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ١٤) و«الزاهر» (١/ ٤٢).

(٢) كما في «الزاهر» (١/ ٤٣).

(٣) في «ديوانه» ص ١٥-١٦. والمحفل: مستقر الماء. والقرواح: الأرض المستوية.

٣٩- قولنا: قد استَجْمَرَ الرجل

معناه: قد تمسَّح بالأحجار. والجِمار في لغة العرب: الحجارة الصغار[1]. ومنه سميت جمار مكة. وفي الحديث المرفوع: (إذا توضأتَ فاستَنْثِر، وإذا استَجْمَرْتَ فأَوتر)[2]. معناه: تمسح بوتر من الجمار، وهي الحجارة الصغار.

ويقال: قد جمر الرجل يجمر تجميرًا: إذا رمى جمار مكة. قال عمر بن أبي ربيعة[3]:

فَلَمْ أَرَ كَالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاظِرٍ ... ولا كَلَيالي الحَجّ أَقْلَتْنَ ذا هوى

وأَقْلَتْنَ: أي جعلن فيه قلْتًا وهو النقرة في الجبل، ويُروى أيضًا: (أفتَنَّ)

وقال آخر[4]:

رَمَتْ بِالحَصَى يَومَ الجِمَارِ فَلَيْتَهُ ... بِعَيْنِي، وَأَنَّ اللهَ حَوَّله جمرًا

* * *

(١) «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/٥١) و«مفاتيح العلوم» ص ٨ و«النهاية» (١/٢٩٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤/٣٣٩-٣٤٠) والترمذي (٢٧) والنسائي (١/٤١) وابن ماجة (٤٠٦) والطيالسي (١/٤٧) والحميدي (٨٥٦) وابن أبي شيبة (١/٢٧) وابن حبان (١٤٣٦) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/١٢١) والطبراني في «الكبير» (٦٣٠٦-٦٣١٥) من حديث سلمة بن قيس الأشجعي.

(٣) ديوانه ص ٤٥٩.

(٤) المؤمل بن أميل كما في «الأضداد» ص ٣٧٣.

٤٠ - قولنا: فلانٌ يَؤُمُّ القوم

معنـــاه: يتقدمهم، أُخذ من «الأمام». يقال فلان أمـــام القوم إذا تقدّمهم، وكذلك: فلان إمام القوم، معناه: المتقدِّم لهم. والإمام ينقسم على أقسام(١):

فيكون الإمام: المتقدم.

ويكون الإمام: الرئيس، كقولنا: إمام المسلمين.

ويكون الإمـــام: الكتاب، كقوله تعـــالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس: ١٢]، وقولـــه تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [الحجر: ٧٩]. قال أبو العباس ثعلبٌ(٢): معناه: وإن إبراهيم ولوطًا عليهما السلام لَبِطَرِيقٍ واضح.

ويكون الإمام: المثال، قال النابغة(٣):

أَبُوهُ قَبْـلَهُ وَأَبُـو أَبِيـهِ ... بَنَوْا مَجْـدَ الحَيَاةِ عَلَى مِثَالِ

وقال لَبيد(٤):

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لهم آباؤهُم ... ولـــكل قَوْمٍ سُـنَّةٌ وإِمَامُهَا

* * *

(١) انظر «تحفة الأريب» ص (٦) و«الوجوه والنظائر» للدامغاني ص (٤٤) و«كشف السرائر» ص ٨٣ و«اللسان» (أمم).

(٢) «الزاهر» (٢/١٩)

(٣) «ديوانه» ص ١٦٥.

(٤) «ديوانه» ص ٣٢٠.

٤١- قولنا: قد قرأ القرآن

في معنى القرآن قولان(١):

فقال أبو عبيدة(٢): إنما سُمي القرآن قرآنًا لأنه يجمع السور ويضمُّها، والدليل على هذا قول الله عز وجل: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]، معناه إذا أَلَّفْنَا منه شيئًا فضممناه إليك فخذ به واعمل به وضُمَّهُ إليه. قال عمرو بن كلثوم(٣):

ذراعَيْ حُرَّةٍ أدْمَاءَ بِكْرٍ هِجَانِ اللَّوْنِ لم تَقْرَأْ جَنِيْنَا

قال أبو عبيدة: معناه: لم تَضُمّ في رَحِمِهَا وَلَدًا. وقال قُطْرب(٤): إنما سمي القرآن قرآنًا لأن القارئ يظهره ويُبَيِّنُه ويلقيه من فيه، أخذ من قول العرب: ما قرأت الناقة قط، أي ما رَمَتْ بولد.

* * *

(١) راجع «تفسير غريب القرآن» ص ٣٣ و«اللسان» (١٥٨/٧) و«التاج» (١٤٠/١٧).

(٢) في «مجاز القرآن» (١/١-٢)

(٣) «شرح القصائد السبع» ص ٣٨٠ و«شرح القصائد التسع» ص (٦٢٠). والأدماء: البيضاء.

(٤) «شرح القصائد السبع» ص ٣٨٠.

٤٢- قولنا: قرأت سورة من القرآن

فيها أربعة أقوال[١]:

قال أبو عبيدة[٢]: سميت السورةُ سورةً لأنه يُرتفع فيها من منزلة إلى منزلة، مثل سورة البناء. قال النابغة[٣]:

ألم تَرَ أن الله أعْطَاك سُورَةً ... ترى كلَ مَلْكٍ دونها يَتَذَبْذَبُ

أي: أعطاك منزلة شرف، ارتفعت إليها عن منازل الملوك.

والقول الثاني: أن تكون سميت سورة لشرفها وعظم شأنها. فتكون مأخوذةً من قول العرب: له سورة في المجد، أي: شرف وارتفاع. قال النابغة[٤]:

ولِرَهْطِ حَرَّابٍ وقدٍّ سُورَةٌ ... في المجد ليس غُرَابُها بمُطَارِ

وقال آخر[٥]:

أبت سورة فيهم قديمًا ثباتها ... من المجْد تنميهم على من تَفَضَّلا

والقول الثالث- أن تكون سميت سورة لكبرها وتمامها، كما يقول: سور الإبل، أي كبارها وكرامها، مفردها سورة[٦].

والقول الرابع: أن تكون سميت سورة لأنها قطعة من القرآن على حدة وفضلة منه؛ أخذت من قول العرب: أَسْأَرْتُ منه سُؤْرًا، أي: أبقيت منه بقية[٧]، وأَفْضَلْتُ

---

(١) راجع «تهذيب اللغة» (٤٨١/١٣) و«تفسير غريب القرآن» ص ٢٤ وتفسير ابن عطية (٢٨٣/١).

(٢) في «مجاز القرآن» (٣/١)

(٣) ديوانه ص ٧٨

(٤) ديوانه ص ٩٩. وحراب وقد: بني والبة بن الحارث.

(٥) «الزاهر» (٧٦/١)

(٦) انظر «الجمهرة» لابن دريد (٣٣٨/٢)، و«الزاهر» (٧٦/١).

(٧) انظر «النهاية» لابن الأثير (٣٢٧/٢).

منه فَضْلَةٌ. فيكون الأصل فيها: سُؤْرَةٌ بالهمز، فتركوا الهمزة وأبدلوا منها واوًا لانضمام ما قبلها. قال الشاعر[1]:

إزاءُ مَعاشٍ ما يزالُ نِطاقُها ... شَديدًا وفيها سُؤْرَةٌ وهْيَ قاعِدُ

معناه: وفيها بقية من شباب.

* * *

(١) حميد بن ثور كما في «ديوانه» ص (٦٦).

٤٣- قولنا: قد نظر في الفُرْقان

الفرقان: اسم للقرآن[١]، وإنما سمي فرقانًا: لأنه فرق بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر. قال الراجز[٢]:

ما شاء ربِّي كانا

مُنَزِّلُ الفُرْقانا

مُبَيِّنًا تِبْيانا

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (الفرقان: المُفرِّق بين الحق والباطل، والخير والشر، والصدق والكذب، والمأمور والمحظور، والحلال والحرام. وذلك أن الدليل لا يتم إلا بالجواب عن المعارض، فالأدلة تشتبه كثيرًا بما يعارضها، فلابد من الفرق بين الدليل الدالِّ على الحق وبين ما عارضه ليتبين أن الذي عارضه باطل. فالدليل يحصل به الهدى وبيان الحق، لكن لابد مع ذلك من الفرقان، وهو الفرق بين ذلك الدليل وبين ما عارضه، والفرق بين خبر الرب والخبر الذي يخالفه. فالفرقان يحصل به التمييز بين المشتبهات، ومن لم يحصل له الفرقان كان في اشتباه وحيرة، والهدى التام لا يكون إلا مع الفرقان، فلهذا قال أولاً: (هدًى للناس) ثم قال: ﴿وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فالبينات: الأدلة على ما تقدَّم من الهدى، وهي بيناتٌ من الهدى الذي هو دليلٌ على أن الأول هدى، ومن الفرقان الذي يُفَرِّق بين البينات والشبهات، والحجج الصحيحة والفاسدة. فالهُدى: مثل أن يؤمر بسلوك الطريق إلى الله، كما يؤمَر قاصد الحج بسلوك طريقِ مكة مع دليل يوصله، والبينات: ما يَدُل ويُبيِّن أن ذلك هو الطريق، وأن سالكه سالكٌ للطريق لا ضال، والفرقان: أن يفرق بين ذلك الطريق وغيره، وبين الدليل الذي يسلكه ويدل الناس عليه وبين غيره ممن يدعي الدلالة وهو جاهلٌ مضلّ)[٣] اهـ. وهو كلامٌ نفيس لو أحسن الناظر تدبره، لم أر مثله لغيره، فلله دَرُّ أبي العباس.

---

(١) انظر «اللسان» (٣٨٦/٧) و«تاج العروس» (٩٨/١٢).

(٢) «الزاهر» (٧٥/١).

(٣) «ثبوت النبوات» ص (٤٥١-٤٥٢).

٤٤- قولنا: قرأت آية من القرآن

قال أبو عبيـــدة[١]: الآية: العلامة. قال: فمعنى الآيـــة: أنها عَلامَةٌ لانقطاع الكلام الذي قبلها والذي بعدها. واحتج بقول الشاعر[٢]:

ألا أبْلغْ لديكَ بني تَميـــمٍ ... بآيـــةِ ما يُحِبُّـــون الطَّعَامَا

أراد: بعلامة ما يحبون.

وقال النابغة[٣]:

توهَّمتُ آياتٍ لها فَعَرَفْتُـــها ... لســـتَّةِ أعوامٍ وذَا العامُ سَابعُ

وقال الأحْوَصُ[٤]:

أمِنْ رَسْمِ آياتٍ عَفَوْن وَمَنْزِلٍ ... قديمٍ تُعَفِّيه الأعَـــاصِيرُ مُحْوِلِ

معناه: أمن رسم علامات.

وقـــال آخرون: بل سميت آية لأنها جماعةٌ من القـــرآن وطائفةٌ منه، قال أبو عمرو الشيباني[٥]: يقال: خرج القوم بآيتهم، أي بجماعتهم. قال الشاعر[٦]:

خَرَجْنا من النَّقْبَين لا حيَّ مثلُنا ... بآيَتِنا نُزجي اللِّقاحَ المَطَافِلا

معناه: خرجنا بجماعتنا.

---

(١) في «مجـــاز القرآن» (١/٥) وانظر أيضًا في معنى الآية «تأويل مشـــكل القرآن» ص (٣٧٩) و«الفوائد في مشكل القرآن» ص (٢٧) و«زاد المسير» (١/٧١) والقرطبي (١/٦٦).

(٢) يزيد بن عمرو بن الصعق كما في كتاب سيبويه (١/٤٦٠) و«الكامل» (١/١٤٧).

(٣) «ديوانه» ص (٤٣).

(٤) «المذكر والمؤنث» ص (٤٠١).

(٥) «زاد المسير» (١/٧١) و«الزاهر» (١/٧٧) و«نزهة الأعين النواظر» (١/٦٨).

(٦) برج بن مسهر الطائي كما في «رسالة الملائكة» ص (٧٤) و«شرح ديوان ابن أبي حصينة» ص (٢٠٤) و«تفسير القرطبي» (١/٦٦).

وفي الآيــة قول ثالث[1]، وهو أن تكــون سميت آية لأنها عجب. وذلك أن قارئها يســتدل إذا قرأها على مباينتها لكلام المخلوقين، ويعلم أن الخلق يعجزون عــن التكلم بمثلها، فتكون الآية: العجــب، كما يقال: فلان آية من الآيات، أي عجب من العجائب.

* * *

٤٥- قولنا: قد حَجَّ الرجلُ بيتَ الله

معنــاه في كلام العرب[2]: قَصَدَ بيت الله، يقال: قد حَجَجْتُ الموضع أَحُجُّه حِجًّا: إذا قصدتُه، وأنشد ابن الأعرابي[3]:

أراد: أما والذي قصد المصلون بيته. وقال رؤبة بن العجاج[4]:

يَحُجُّحْنَ بالقَيْظِ خفاف الرَّوْح حَجَّ النَّصارى العيدَ يوم الفِصْحِ

أراد: يقصدن.

والحج بفتح الحاء: المصدر، وبكسر الحاء: الاسم، وقيل: بل هما لغتان.

* * *

(١) «الزاهر» (١/٧٧).

(٢) انظر «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/٦٤).

(٣) «الزاهر» (١/٩٨).

(٤) «ديوانه» ص (٣٧).

٤٦ – قولنا: قد اعْتَمَر الرجل

معناه في كلام العرب: قد زار البيت[١]. والاعتمار معناه في كلامهم الزيارة، هذا قول جماعة من أهل اللغة[٢]، واحتجوا بقول الشاعر:

يَهِـلُّ بالفَـرْقَدِ رُكبانُها ... كما يُهِلُّ الراكبُ المُعْتَمِـرِ

وقال آخرون: معنى الاعتمار والعمرة في كلامهم: القصد. قال الشاعر[٣]:

لقد سَمَا ابنُ مَعْمَرٍ لَمَّا اعْتَمَرْ ... مَغْزىً بَعِيْدًا مِنْ بُعيدٍ وضَبَر

أراد: حين قصد.

* * *

---

(١) «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/٦٥).

(٢) انظر «الزاهر» (١/٩٩).

(٣) ابن أحمر كما في شعره ص (٦٦) و«شرح القصائد السبع» ص (١٧٦) و«المذكر والمؤنث» ص (١١٦).

٤٧- قولنا: لَبَّيْك

قال أبو العباس ثعلب: معنى قولهم: لبيك: أنا مقيم على طاعتك وإجابتك[١]، من قولهم: قد لَبَّ الرجل في المكان وأَلَبَّ: إذا أقام فيه، قال الشاعر[٢]:

مَحَل الهجر أنت مَقيمٌ ... مُلبٌّ مـا تَــزُوْلُ ولا تَرِيمُ

وقال الراجز[٣]:

لَبَّ بأرضٍ ما تَخَطَّاها الغَنَم

وإلى هذا المعنى كان يذهب الخليل بن أحمد[٤] أيضًا. وقال الأحمر اللغوي[٥]: كان الأصل في لبيك: لَبَّبْك، فاستثقلوا الجمع بين ثلاث باءات، فأبدلوا من الأخيرة ياء. كما قالوا: قد تظنَّيت وأصله: قد تظنَّنت، فأبدلوا من الأخيرة ياءً كما قالوا: ديوان ودينار وأصلهما: دِوَّان ودِنَّار، فاستثقلوا التشديد وأبدلوا من النون ياء.

وقـــال أبو زكريا الفراء[٦]: معنى لبيـــك: إجابتي لك يا رب. قال: ونُصِبَتْ لَبَّيْــك على المصدر وثُنِّي لأنه أراد: إجابة بعد إجابة. وقال آخرون: لبيك معناه: اتجاهي إليك، قالوا: وهو مأخوذٌ من قولهم: داري تلبُّ دارك، أي تواجهها.

وقال آخرون: لبيك معناه: محبتي لك، وهو مأخوذٌ من قولهم: امرأة لَبَّة، إذا كانت مُحِبَّةً لولدها، عطوفةً عليه. قال الشاعر[٧]:

وكنتم كأمٍّ لَبَّةٍ ظَعَنَ ابنُها ... إليها فما درَّت عليه بساعدِ

---

(١) انظر «الفاخر» ص ٤ و«تهذيب الألفاظ» ص ٤٤٧.
(٢) «الزاهر» (١/١٠٠).
(٣) ابن أحمر كما في ديوانه ص ١٤١.
(٤) «غريب الحديث» لأبي عبيد (٣/١٥).
(٥) «الفاخر» ص ٦ و«تهذب اللغة» (١٥/٣٣٧).
(٦) «تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/٣٣٦).
(٧) لمدرك بن حصن كما في «اللسان» (٤/٢٨٨).

٤٨- قولنا: لَبَّيْك إن الحمد والنعمة لك

قال أبو بكر الأنباري[1]: فيه وجهان[2]: لبيك إن الحمد والنعمة لك، ولبيك أن الحمد والنعمة لك - بفتح (إن) وكسرها. فمن كسرها جعلها مبتدأة، وحملها علـى معنى: قلت إن الحمد. ومن قال: لبيك أن الحمد فهو على معنى: لبيك لأن الحمد لك وبأن الحمد لك.

قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب: الاختيار: لبيك إن الحمد والنعمة لك، بكسـر (إن). قال: وهو أجود معنى من الفتح، لأن الذي يكسر (إن) يذهب إلى أن المعنى: إن الحمد والنعمة لك على كل حال؛ والذي يفتح (أن) يذهب إلى أن المعنى: لبيك لأن الحمد لك، أي لبيك لهذا السـبب: فالاختيار الكسر لأن المعنى: لبيك لكل معنى، لا لسبب دون سبب.

٤٩- قولنا لمن قدم من الحج: مَبْرُورًا مَأْجُورًا

ذكـر أهل اللغة فيه وجهـان: مبرورًا مأجورًا بالنصـب على الدعاء، أي جعلك الله مـبرورًا مأجورًا. والوجه الآخر: أن يُنصب على الحال فيكون المعنى: قدمـتَ مبرورًا مأجورًا. وأجازوا أيضًا: مـبرورٌ مأجور، على الرفع، على معنى: أنت مبرور مأجور.

ومبرور: من البِرّ، ومأجور من الأجر، أي: جعلك الله من أهل الإيمان والخير والثواب، أو قَدِمْتَ من أهل الخير والإيمان والثواب، أو أنت كذلك.

* * *

(١) في «الزاهر» (١/١٠١).

(٢) «غريب الحديث» لأبي عبيد (٣/١٥) ولابن قتيبة (١/٦٦) و«منهج السالك» ص ٢٧٩.

٥٠- قولنا: محمدٌ - صلى الله عليه وسلم - نبيُّ الله

قال بعض أهل اللغة[١]: إنما سمي النبي نبيًا لأنه ينبئ عن الله عز وجل، أي يخبر عنه، أُخذ من النبأ وهو الخبر كما قال الله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١، ٢]، أي الخبر العظيم. فعلى هذا يكون الأصل فيه «نبيئًا» فأُبْدِلت الهمزة ياءً، وأُدْغِمَت الياءُ الأولى فيها. ولذا كان نافع يهمز لفظ «النبي» في جميع القرآن[٢] لأنه كان يأخذه من «النبأ». والأصوب ترك الهمزة فيه كما هو لسان قريش وسائر أهل الحجاز، وهو لغة النبي - صلى الله عليه وسلم -. وقد روي أن رجلاً قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: يا نَبِيءَ الله، فقال: (لست بنبيءِ الله، ولكنّي نبيُّ الله)، كذا أورده ابن الأثير في «النهاية»[٣] ولم أر إسناده، ولا أظنه يصح.

والنبي أيضًا في كلام العرب: الرفيع الشأن[٤]، أُخذ من «النَّبْوة» أو «النَّبَاوَة» وهي ما ارتفع من الأرض، فسمي بذلك لعلو شأنه ومنزلته. وقيل بل سُمِّي النبيُّ نبيًّا لبيانِ أَمْرِه، ووضوح خبره، أُخذ من «النبي» وهو الطريق[٥]. قال أوس بن حجر[٦]:

لأَصْبَحَ رَتْمًا دقاق الحصى ... مَكَانَ النَّبيِّ مِنَ الكَاثِبِ

والصواب أن لفظ النبي يجمع المعاني الثلاثة، فهو مخبر عن الله عز وجل، ورفيع الشأن عظيم المنزلة، بيِّن الأمر واضح الخبر.

---

(١) انظر «اللسان» و«تاج العروس» مادة (نبأ).

(٢) كما في «السبعة في القراءات» ص ١٥٦.

(٣) (٥/٣).

(٤) «الزاهر» (١١٢/٢).

(٥) انظر «تفسير الطبري» (١٤١/٢) بتحقيق العلامة محمود محمد شاكر - رحمه الله -.

(٦) ديوانه ص ١١. والرتم: الدق، والكاثب: الرمل المجتمع.

٥١ - قولنا: مؤمن بوَحْي الله عز وجل

الوَحْيُ: ما يوحيه الله تعالى إلى أنبيائه، سُمّي وَحْيًا لأن الخالق ستره عن جميع الخلق، وخص به النبي المبعوث إليه. قال الله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، أي: يُسر بعضهم إلى بعض.

ثم يكون الوحي بمعنى الإلهام، كقوله عز وجل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، أراد: أَلْهَمَهَا، وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]، أراد: أَلْهَمَهَا. قال علقمة بن عبدة[1]:

يُوحِي إليها بإنْقَاضٍ ونَقْنَقَةٍ ... كما تَراطَنُ في أَفْدانِها الرُّومُ

ويكون الوحي بمعنى: الأمر، كقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ [المائدة: ١١١]، أراد: أمرتُهم.

ويكون بمعنى الإشارة، كقوله عز وجل: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، أراد: أشار إليهم. ويكون بمعنى الكتابة، كقول جرير[2]:

كأنّ أخا اليهودِ يَخطُّ وَحْيًا ... بكَافٍ في مَنازلها ولامِ

أراد: يخط كتابًا. وقال الآخر[3]:

كوحي صَحَائفٍ في عَهْدِ كِسْرى ... فأَهْداها لأَعْجَمَ طِمْطِميِّ

ويقال: أوحى إيحاءً، ووَحَى يَحِي وحيًا، قال الراجز[4]:

الحمد لله الذي اسْتَقَلَّتِ
بإذنه السماءُ واطْمَأَنَّتِ
وَحَى لها القَرَارَ فاستَقَرَّتِ

---

(١) «ديوانه» ص ٦٢. وتراطن الروم: أي تكلموا بكلامهم الذي لا يفهم. والأفدان جمع فدن وهو القصر.

(٢) «ديوانه» ص ١٩٧.

(٣) «الزاهر» (٢/٣٤٢) بلا عزو. والطمطمي: الأعجم الذي لا يفصح.

(٤) رؤبة بن العجاج في «ديوانه» ص ٢٦٦، ونسبه للعجاج في خزانة الأدب.

٥٢- قولنا: عفا الله عنك

معناه: دَرَسَ الله ذنوبك عنك، ومحاها عنك(١). من قولهم: قد عفا المنزل يعفو عَفْوًا: إذا درس وانْمَحتْ آثارُه. قال لَبِيدٌ(٢):

عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّها فَمُقَامُها ... بِمِنًى تَأَبَّـدَ غَوْلُها فرِجَامُهَا

معناه: انْمَحَتْ ودَرَسَتْ. ويقال أيضًا: قد عَفَا الشَّعْر يعفو عَفْوًا: إذا كَثُر، وقد عَفَوْتُه أو أعفوه عَفْوًا، وأَعْفَيْتُه أُعْفيه إِعْفَاءً: إذا أَكْثَرْتُه. وفي الحديث(٣): (حِفُّوا الشوارب وأَعْفُوا اللحى)، أي: أكثروها ووفِّروها.

ويقال: قد عَفَا القوم: إذا كَثُروا. قال عز وجل: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ [الأعراف: ٩٤]، أي حتى كثروا. ويقال: قد عفا الرجلُ الرجلَ: إذا طلب منه حاجة. ومن ذلك قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (من أحيا أرضًا ميتة فله بها أجرٌ، وما أكلت العافيةُ منها فهو له صدقةٌ)(٤). فالعافية هنا: كل طالبٍ رزقًا من إنسان أو طيرٍ أو دابة. ويقال في جمع العافية: العُفَاة. قال الأعشى(٥):

يطوفُ العُفَاةُ بأبوابِهِ ... كطَوْفِ النَّصارى بِبَيْتِ الوَثَن

أي: يطوف السائلون.

---

(١) «الأضداد» ص ٨٦-٨٨ و«شرح القصائد السبع» ص ٢١-٢٢ و«اللسان» (عفا).
(٢) «ديوانه» ص ٢٩٧. وتأبد: توحش. والغَول: ما هبط من الأرض. والرجام: الجبل.
(٣) أخرجه مسلم (٢٢٢) وغيره.
(٤) علقه البخاري في صحيحه (٥/٢٣) وأخرجه أحمد (٣/٣٠٤، ٣١٣، ٣٢٧، ٣٣٨، ٣٥٦، ٣٨١) وابن حبان (٥٢٠٢-٥٢٠٤) والدارمي (٢/٢٦٧) وأبو عبيد في «الأموال» (٧٠٢) وابن زنجويه في «الأموال» (١٠٥٠) ويحيى بن آدم في «الخراج» (٢٥٩) والبيهقي (٦/١٤٨) وأبو يعلى (١٨٠٥) من حديث جابر بن عبد الله مرفوعًا به، وقال البغوي (١٦٥٠) البغوي: العافية كل طالب رزقا من إنسان أو طير أو دابة أو غير ذلك. وإذا أتى الرجل الرجل يطلب حاجة فقد عفاه يعفوه. وانظر «غريب الحديث» (١/١٤٨).
(٥) «ديوانه» ص ١٩.

٥٣- قولنا: أَيَّدَكَ الله، وأَدَامَ تَأْيِيدَك

قال أهل اللغة: معناه: قوَّاك الله. قال أبو عبيدة[١] وغيره: الأَيْد عند العرب: القـوة. يقال: رجل ذو أَيْدٍ وآدٍ: أي ذو قوة. قال الله عز وجل: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]، معناه: بقوة.

ويقال: آدَنِي الشيء يَؤُوْدُنِي: إذا أَثْقَلَنِي، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أي لا يَثْقُل عليه حِفْظُهُمَا. وقال سـعيد بن جبير[٢]: معنى ولا يؤوده: لا يُكْرِثُه، وهو شبيه بالمعنى الأول. وقال حسان بن ثابت[٣]:

وقَامَتْ تُرَائِيك مُغْدَوْدِنا ... إذا مـا تَنُـوءُ بِـهِ آدَهَـا

معناه: أثقلها.

* * *

(١) في «مجاز القرآن» (٤٦/١).
(٢) «الزاهر» (٤٠٠/١)، ونسب في «تفسير الطبري» (١٢/٣) إلى مجاهد.
(٣) «ديوانه» ص ١٠٢. والمغدودن: الشعر الطويل الكثير، وتنوء: تنهض.

٥٤- قولُنا: أَقَرَّ اللهُ عَيْنَكَ

اختلف في معناه أهل اللغة[١]، فقال الأصمعي[٢]: معنى أَقَرَّ الله عينك: أَبْرَدَ الله دَمْعَتَكَ. وقال: أَقَرَّ مأخوذٌ من القُرِّ، وهو البرد. قال طَرَفَة بن العبد[٣]:

تدفعُ القُرَّ بحرٍّ صادق ... وعَكِيْكَ القَيْظ إن جَاء، بقُرِّ

وقال[٤]: دَمْعَةُ الفرح باردةٌ، ودمعة الحزن حارةٌ. وقال أبو العباس ثعلب[٥]: ليس كما ذكر الأصمعي، الدمع كله حارٌّ، في فرح كان أو حزن. قال: والمعنى: لا أبكاك الله، أي أقرها الله على أن لا تكون باكيةً فتسخنَ بالدموع.

وقال أبو عمرو الشيباني[٦]: أقر الله عينك أي أنام الله عينك، أي صادَفَتْ عينُك سرورًا فأذهبَ الله سَهَرَهَا فَنَامَتْ. واحْتَجَّ بقول عمرو بن كلثوم[٧]:

بِيَوم كَرِيهةٍ ضَرْبًا وطَعْنًا ... أَقَرَّ بـه مَوَالِيكِ العُيُونَا

أراد: ظَفروا فنامت عيونهم وذهب سهرهم. وقال جماعة من أهل اللغة[٨]: معنى أقر الله عينك: صادفْتَ ما يرضيك، أي بلَّغَكَ الله أقصى أمانيك، حتى تقرَّ عينُك من النظر إلى غيرك استغناءً ورضًى بما في يديك. قالوا: وفلان قُرَّةُ عيني معناه: فلان رضى نفسي، أي تَرْضَى نفسي وتَقَرُّ وتَسْكُنُ بقُربه مني ونظري إليه. ومن ذلك قولُه - صلى الله عليه وسلم -: (وجُعِلَت قُرَّة عيني في الصلاة)[٩].

---

(١) انظر «الزاهر» (١/١٩٩) و«أمثال» أبي عكرمة ص ١٠٦ و«الفاخر» ص ٦.
(٢) «شرح القصائد السبع» ص ٣٧٦.
(٣) «ديوانه» ص ٤٨. والعكيك: الشديد الحر.
(٤) «الفاخر» ص ٦.
(٥) «شرح القصائد السبع» ص ٣٧٦.
(٦) «الفاخر» ص ٦.
(٧) «شرح القصائد السبع» ص ٣٧٥ و«شرح القصائد التسع» ص ٦١٨.
(٨) «شرح القصائد السبع» ص ٣٧٦.
(٩) أخرجه النسائي (٦٣٨٨) وأحمد (١٢٢٩٣) والحاكم (٢/١٦٠) وأبو يعلى (٣٤٨٢) والطبراني في الأوسط (٥١٩٩) وابن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٢٢) والبيهقي (٧/٧٨) والضياء في المختارة (١٧٣٧) من حديث أنس بن مالك.

٥٥- قولنا: خيرٌ لك من حُمُر النَّعم

النَّعم: الإبل. وحُمُرها: كِرامُها، وأعلاها مَنْزِلةً[١]. والنَّعَم في قول بعض أهل اللغة لا يقع إلا على الإبل، والأنعام تقع على الإبل والبقر والغنم، فإذا انفردت الإبل قيل لها: نَعَمٌ وأنعام. وإذا انفردت البقر والغنم لم يُقَل لها نَعَمٌ ولا أنعام.

وقال آخرون: النَّعَم والأنعام بمعنى واحد. قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون: ٢١]، فذكر «الهاء» لأنه حمل الأنعام على معنى النَّعَم. قال الشاعر[٢]:

أَكُلَّ عامٍ نَعَمٌ تَحْوُوْنَهُ ... يُلَقِّحُهُ قَوْمٌ وتُنْتَجُونَهُ

فتكون النَّعَمُ الخيل والغنم والبقر أيضًا[٣].

* * *

(١) «الزاهر» (٢/٢٨٠).

(٢) قيس بن الحصين كما في «المقاصد النحوية» (١/٥٣٠) و«الخزانة» (١/١٩٧). وانظر «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ص (٢٩٣).

(٣) وكذا قال ثابت في كتابه «الفرق» ص (١٠٠).

٥٦- قولُنا: فلان من أهل السُنَّة

معناه: من أهل الطريقة الحسنة المحمودة(١)، فحذف نعت «السُنَّة» لانكشاف معناه.

والسُّنَّةُ معناها في اللغة: الطريقة، وهي مأخوذةٌ من «السَّنَن» وهو «الطريق»، يقال: خُذْ على سَنَنِ الطريق، أي: على وسطه وجادَّته. قال الخطابي(٢): أصلها: الطريقة المحمودة، فإذا أطلقت انصرفت إليها، وقد تستعمل في غيرها قصيدةً كقوله: (من سنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً). وكذا تستعمل «السَّنَنُ» في كل شيء يراد به القصد، قال جرير(٣):

نَبْني على سَنَنِ العَدوِّ بيوتَنا ... لا نَسْتَجِيرُ، ولا نَحُلُّ حَرِيدًا

وقال لبيد(٤):

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّت لهم آباؤهُم ... ولُكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وإِمَامُهَا

وقال الكسائي(٥): السنة: الدوام، أي الأمر الذي يُداوم عليه. ونقل عن المفضل ابن سَلَمَة(٦) أنها الأُمَّة، وأنشد:

مَا عَايَنَ النَّاسُ مِنْ فَضْلٍ كَفَضلِهِمْ ... ولا رأوا مِثْلَهُم في سَالِفِ السُنَنِ

وقال الطبري(٧): (السُّنةُ هي المِثَالُ المُتَّبَعُ، والإمام المُؤْتَمُّ به)، واستدل ببيت لبيد ابن ربيعة السابق ذكره.

---

(١) انظر «تهذيب اللغة» للأزهري (١٢/٣٠١) و«اللسان» (سنن).
(٢) «إرشاد الفحول» ص (٣١).
(٣) «ديوانه» ص (٣٤١). والحريد: البيت المنفرد.
(٤) «ديوانه» ص (٣٢٠) وذكره الطبري في تفسيره (٤/٦٥).
(٥) «إرشاد الفحول» ص (٣١).
(٦) كما في «تفسير القرطبي» (٤/٢١٦).
(٧) في تفسيره (٤/٦٥).

وهذه المعاني جميعها متوافقة محتملة، وللسنة معانٍ أخر كصورة الوجه وطبيعة الشـــيء[1]. ثم إن لفظ الســـنة وُضِعَتْ له تعريفات اصطلاحيةً عديدة في أبواب العقيدة والفقه وأصوله وعلـــوم الحديث وغير ذلك، وإنما اقتصرنا هنا على معناه لغة، وإلا فَلْيُراجَعْ كلٌّ في مظانه.

* * *

(١) راجع «الزاهر» (٢/٣٤٠) و«اللسان» (سنن).

٥٧- قولنا: رجل مؤمن

الإيمان في اللغة: التصديق. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾[يوسف: ١٧]، أي بمُصدِّق لنا. فرجل مؤمن، معناه: مصدق لله ورسله. يقال: قد آمن بالشيء إذا صدَّق به. قال الله عز وجل: ﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١]، فمعناه: يصدق الله ويصدق المؤمنين. وقال الشاعر(١):

وَمِنْ قَبْلُ آمَنَّا، وقَدْ كَان قَوْمُنا ... يُصَلُّونَ للأوثان قبلُ، مُحَمَّدَا

أراد: ومن قبل آمنا محمدًا، أي صدقنا محمدًا، فهو منصوب على معنى التصديق.

أما في الشرع، فالإيمان معنى مركب من ثلاثة أركان: اعتقاد بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح. وتمسك بعض أهل البدع كالجهمية والكرامية بالمعنى اللغوي للكلمة، فقالوا: هو اعتقاد القلب فقط، أو التصديق دونما إقرار ولا عمل. فهو أمر يتساوى فيه الناس جميعًا، أتقاهم وأفجرهم، لا يزيد ولا ينقص. وقولهم هذا ساقط منقوض بالعقل والشرع. وقال بعض فقهاء الكوفة والحنفية: الأعمال ليست شرطًا في الإيمان ولا ركنًا فيه، بل من لوازمه. ولو تصور هؤلاء معنى الإيمان والنصوص الشرعية الواردة في هذا الباب تصورًا تامًّا غير منقوص وفَهِمُوها على وجهها لعلِمُوا صحة مذهب أهل السنة الخُلَّص كما بيَّنْتُه في رسالتي: (التِبْيَان في تحقيق معنى الإيمان)، والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) هو في «الإفصاح» ص (١٦٢) منسوبًا إلى العباس بن مرداس، وبلا عزو في «أمالي» ابن الشجري (١١٢/١) و«شرح القصائد السبع» ص (١٤٩) و«الأشباه والنظائر» (١٨٣/٣).

٥٨- قولُنا: رجل مسلم

في معنى المسلم قولان(١):

فقال قوم: المسلم: المخلص لله العبادة. قالوا: هو مأخوذٌ من قول العرب: قد سَلِم الشيء لفلان إذا خَلُص له. قال الله عز وجل: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩]، معناه: خالصًا لرجل.

وقالِ آخرون: الإسـلام هو الاستسـلام والخضوع لأمر الله، والمسلم هو المستسلم لأمر الله المتذلل له. واحتجوا بقول العباس بن مرداس(٢):

فقُلْنا أسْلِموا إنَّا أَخُوكُم فقَدْ بَرِئَتْ مِنَ الإِحَنِ الصُّدُورُ

أراد: فقلنا استسـلموا. قالوا: فالمسلم الذي يعتقد الاستسلام لله والخضوع له، محمود، والذي يستسـلم خوفًا من القتال والأذى، مذموم. من ذلك قول الله عز وجل: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ ([الحجر: ١٤]، قال بعض أهل التفسير: معناه: استسلمنا خوفًا من القتال.

* * *

(١) «تهذيب اللغة» (١٢/٤٥١).

(٢) «ديوانه» ص ٥٢.

٥٩- قولُنا: رجل عابِد

معناه: رجل خاضعٌ ذليلٌ لربّه[١]، يقال: قد عَبَدْتُ الله أَعْبُدُه: إذا خضعتُ له وتذلّلتُ، وأقررتُ بربُوبيته. وهو مأخوذٌ من قولهم: طريقٌ معبَّد: إذا كان مذلّلاً، قد أثَّر الناس فيه. ويقال: بعيرٌ معبد: إذا ذهب وَبَرُهُ. قال طرفة[٢]:

إلى أن تحامَتْني العَشيرةُ كلُّها ... وأُفْرِدْتُ إفـــرادَ البَعيرِ المُعَبَّدِ

معناه: المذلل. قال الله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥].

قال أهل اللغة: معنى نعبد: نخضع ونَذِلُّ ونعترف بربوبيتك، وقال بعض أهل التفسير[٣]: معناه: إياك نوحد.

* * *

(١) انظر «الأضداد» ص ٣٥ و«شرح القصائد السبع» ص ١٥٤ و«الزاهر» (١/١٠٧-١٠٨).
(٢) «ديوانه» ص ٣١.
(٣) «زاد المسير» (١/١٤).

٦٠- قولنا: رجل زاهِد

الزاهد: القليل الرغبة في الدنيا، والمُزْهِد: القليل المال. وفي الأثر: (أفضل الناس مؤمنٌ مُزْهِدٌ)[١] أي قليل المال. يقال: قد أَزْهَدَ الرجل يُزْهِدُ إِزْهَادًا: إذا قَلَّ ماله. قال الأعشى[٢]:

فَلَنْ يطْلُبُوا سِرَّهَا لِلْغنَى ... ولن يُسْلِموها لإِزْهَادِهَا

أراد: فلن يطلبوا نكاحها للغنى، ولن يدعوا نكاحها لقلة مالها. والسر: النكاح[٣]، من قول الله عز وجل: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥]، ويقال: زهدت في الشيء أزهد فيه: إذا رَغِبْتُ عَنْهُ، وقَلَّتْ حاجتي له.

* * *

(١) «غريب الحديث» لأبي عبيد (١/٢٣٧).

(٢) «ديوانه» ص (٥٦).

(٣) انظر «زاد المسير» (١/٢٧٧).

٦١- قولنا: قُتِل في سبيل الله

معناه: في طريق الله الذي يريده، ويُثيبُ عليه، ويُحْسِـنُ مجازاة مَنْ سَلَكَه.

فالسبيل: الطريق، يُذكر ويُؤنث[١]. قال عز من قائل: ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وفي بعض القراءات[٢]: (وإنْ يروا سـبيل الرشـد لا يتخذوها سبيلاً وإن يَروا سـبيل الغَي يتخذوها سبيلاً) بالتأنيث. وقال في موضع آخر: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]. وقرؤوا أيضًا: (ولتستبين سبيل المجرمين) بالتذكير والتأنيث[٣]. وقال الشاعر[٤]:

فلا تَبْعَـدْ فَكُل فَتى أُنـاسٍ ... سَيُصبِحُ سَالِكًا تلك السَّبِيلا

وقال الآخر[٥]:

يا نَفْسُ إنَّ سبيل الرُّشْدِ واضحةٌ ... منيرةٌ كَبَيَاضِ الفَجْرِ، غَرَّاءُ

* * *

(١) انظر «المذكر والمؤنث» للفراء ص ٨٧ ولابن الأنباري ص (٣٢٠-٣٢١) ولابن فارس ص ٥٨.

(٢) هي قراءة أُبَيّ كما في «المذكر والمؤنث» ص (٦٧) وابن الأنباري ص (٢٢٩)، وفي «البحر المحيط» (٤/٣٩٠) أنها قراءة لابن أبي عبلة.

(٣) «الكشف عن وجوه القراءات» (١/٤٣٣) و«المشكل» ص (٢٥٤).

(٤) بلا عزو في «مجاز القرآن» (١/٣١٩) و«المذكر والمؤنث» ص (٣٢٠).

(٥) سابق البربري كما في «المذكر والمؤنث» ص ٣٢٠ و«الزاهر» (٢/١٩٧).

٦٢- قولنا: نعوذ بالله من الجحيم

قال أبو عبيدة[١]: الجحيـــم: النار والمتلظية الملتهبة. وقال الفراء[٢]: الجحيم: النار على النار، والجمر بعضه على بعض، وهي جاحمة. وقال أبو جعفر أحمد بن عبيد[٣]: إنما سميت النار جحيمًا لأنها أَكْثَرُ وَقُودهَا، من قول العرب: جَحَمْتُ النار أُجحمُها: إذا أَكْثَرْتُ لها الوَقُود. قال عمران بن حطّان[٤]:

يَرَى طاعةَ اللهِ الهُدَى وخِلافَه الضَّلاَلَة   يَصْلَى أَهْلُهـــا جَحِمَ الجَمْرِ

وكلمة «الجحيم» تنصرف لأنها معـــروف مؤنث في قول قوم، ومذكر في قول آخرين[٥]. وكذلك «الهاويـــة» و«الحُطَمَة» من أسماء جهنم، سُمِّيت بالهاوية لتَسَفُّلِها[٦]، وسميت بالحُطَمة[٧] لكسرها وتحطيمها ما يقع فيها.

* * *

---

(١) «زاد المسير» (١/١٣٨).
(٢) «زاد المسير» (١/١٣٨) و«المذكر والمؤنث» ص (٢٧٧).
(٣) «زاد المسير» (١/١٣٩) و«المذكر والمؤنث» ص (٢٧٧).
(٤) «شعر الخوارج» ص (١٧١).
(٥) مثل الفراء في كتابه «المذكر والمؤنث» ص (٩٣).
(٦) «تفسير الطبري» (٣٠/٢٨٢).
(٧) «زاد المسير» (٩/٢٢٩).

٦٣- قولنا: نعوذُ بالله من جَهنَّم

في جهنم قولان[1]:

قـــال أكثر أهل اللغة: جهنم اســـم للنار التي يعذب الله بها في الآخرة، وهي كلمة أعجمية، لا تصرف للتعريف والعُجْمَة. وقال آخرون: جهنم اســم عربي، سميت نار الآخرة به لبعد قعرها. وإنما لم تصرف لثقل التعريف وثقل التأنيث.

قال قطرب[2]: حُكي لنا عن رؤبة بن العجاج أنه قال: ركِيَّةٌ جهنَّام، يريد: بعيدة القعر. وقال الأعشى[3]:

دعوتُ خَلِيلي مِسْحَلاً ودَعَوا له ... جَهنَّامَ جَدْعًا للهَجِينِ المُذَمَّمِ

قـــال أبو بكر الأنباري: فتركه إجراء – أي تصريف – جهنام يدل على أنه أعجمي.

قلت: وله أصـــلٌ في الآرامية والعبرية[4]، وبينهما وبـــين العربية الكثير من الشبه، والآرامية: لسان الخليل إبراهيم، والعبرية: لسان موسى وأنبياء بني إسرائيل، صلـــوات الله عليهم جميعًا. فليس من ضَيْرٍ في كونهـــا مُعَرَّبةً، أو كونِ العربِ لم يتداولوها في أشـــعارهم زمن الجاهلية، فمعرفتهم باليوم الآخر كانت معرفة مجملة من بقايـــا الحنيفية. وإذا تأملت هذه القضية وأمثالها أدركت أن جميع ما يتعلق به الكفار والملاحدة من دعاوى الانتحـــال والاقتباس هو على الضد من ذلك: من دلائل صحة الرسالة وأعلام صدق النبوة، وبسط هذا له موضع آخر.

---

(١) انظر «مشكل القرآن» ص ٤١٣ و«الزينة في الكلمات العربية والإسلامية» (٢/٢١٢).

(٢) «الزينة» (١/١٢١) و«المعرب من الكلام الأعجمي» ص (١٥٥).

(٣) «ديوانه» ص (٩٥). وراجع «الحماسة» ص (٨١٦).

(٤) ذكر شـواهد ذلك الخبيث الهالك آرثر جفري في كتابه «المفردات الأجنبية في القرآن» ص (١٠٥-١٠٦).

٦٤- قولنا: نعوذُ بالله من سَقَر

في «سقر» قولان[١]:

أحدهما: أن تكون نار الآخرة سميت بسقر وهو اسم أعجمي، لا يعرف له اشتقاق، إذ كان أعجميًا. ومَنْعُ التصريف للتعريف والعُجْمَة.

وقيل: بل سميت النار بسَقَر لأنها تذيب الأجسام والأرواح، والاسم عربي من قولهم: سقرته الشمس، إذا أذابته، وأصابه منها ساقور. والساقور أيضًا: حديدة تُحْمَى، وتُكوى بها الدَّابةُ. فمن جعلَ «سقر» اسمًا عربيًّا منعه من التصريف للتعريف والتأنيث.

قلت: ولها أصل في غير العربية فلعلها معربة. قال بعض السلف: (في القرآن من كل لسان).

٦٥- قولنا: نعوذُ بالله من لَظَى

سُميت جهنم بذلك لشدتها وتوقُّدها وتَلَهُّبها[٢]، قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ [المعارج: ١٥]، والتِظَاءُ النار وتلظِّيها: التهابُها، ومنه قوله تعالى: ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤].

ويقال: هو يتلظَّى عليَّ أي: يتلهَّب ويتوقَّدُ، وكذلك النار تتلظَّى: إذا اشتدَّتْ واحمرَّتْ. قال الشاعر[٣]:

جَحيمًا تَلَظَّى لا تُفتَّرُ ساعةً ... ولا الحَرُّ منها غابرَ الدَّهرِ يَبْرُدُ

وقال الأَفْوَه[٤]:

في موقفٍ ذَرِبِ الشَّبا وكأنَّما ... فيه الرجالُ على الأَطَائِمِ واللَّظَى

يقول: كأنهم لشدة الموقف على نارٍ تتلهَّب، يتلهفون اللقاء.

---

(١) «الزاهر» (١٤٧/٢) و«اللسان» (سقر).

(٢) «الزاهر» (١٤٧/٢) و«اللسان» (لظى).

(٣) البيت بلا عزو في «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ص (٣٧١).

(٤) «التاج» (٤٥٨/٣٩-٤٥٩) و«الطرائف الأدبية» للميمني ص (٦).

٦٦- قولُنا: قطع الله دَابِرَ فلان، أو دَابِرَ القوم

قـــال أبو عبيدة(١): دابر القوم: آخرهم، يقال: دَبَرَهم يَدْبُرُهُم دبرًا: إذا كان آخرهم. ومن ذلك قولهم: (لا يأتي الصلاةَ إلا دبرًا)(٢)، أي في آخر الوقت.

وقال الأصمعي(٣): دابر القوم أصلهم. واحتج بقول الحارث بن وعلة(٤):

فِدًى لكما رِجلايَ أمّي وخالتي غداةَ الكلابِ إذ تَحزُّ الدَّوابِرُ

معنــاه: إذا تَقَطَّع أصول القوم. قال عز من قائل: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

٦٧- قولنا: رجل تقيٌّ

معناه لغةً: يقي نفسه ويحميها من العذاب بالعمل الصالح. وأصله من: وقيت نفسي أقيها، إذا حَمَيْتُها ومَنَعْتُها الضَّرَرَ والأذى. وأقرب الأقوال(٥) أنه على وزن (فعيـــل)، والأصل فيه: تقييٌ، فأدغموا الياء الأولى في الثانية. والدليل على هذا أنه يقال في جمعه: أتقياء، كما يقال: وليٌّ وأولياء.

وله معانٍ وتعريفات كثيرة فصَّلها السلــف وأهــل العلم، وفي الجملة فهو مركَّــب من أمور وخصال عديدة تجتمع وتفتــرق، ويراجع في مظانه من كتب الرقائق والسلوك على وجه الخصوص.

---

(١) في «مجاز القرآن» (١٩٢/١).

(٢) «النهاية» لابن الأثير (٩٧/٢-٩٨) و«الفائق» للزمخشري (٤٠/١).

(٣) «الفاخر» ص (١٥٩).

(٤) «المفضليات» ص (١٦٥).

(٥) انظر «الزاهر» لابن الأنباري (١٢٢/١-١٢٣).

٦٨- قولنا: رجل وَرِع

معناه في كلام العـــرب: كافٌّ عما لا يَحِلُّ له، تاركٌ له[١]. يقال: قد وَرِع الرجـــل يَرِعُ وَرَعًا وَرِعَةً: إذا كف عمـــا لا يَحِلُّ له. وَوَرَّعْتُ الرجلَ عن الأمر: كففتُه فتورَّع عنه.

ويقال أيضًا: ورِعْتُ نفسي عما لا ينبغي، ووَرِعْتُ الإبلَ عن الماء إذا رَدَدْتُهَا عنه. ووَرَّعت بين المتخاصمين: إذا فرقت بينهما[٢].

* * *

(١) انظر «إصـــلاح المنطق» لابن الســـكيت ص (١٠٠-١٠١) و«تهذيـــب اللغة» (١٧٦/٣) و«اللسان» و«التاج» (ورع).

(٢) «أساس البلاغة» ص (٤٩٦).

٦٩- قولنا: رجل فقيه

معناه: عالم، وكل عالم بشــيء هو فقيه فيه. مــن ذلك قولهم: ما يَفْقَهُ ولا يَنْقَــهُ، معناه: ما يعلمُ ولا يفهمُ. يقال: نَقَهْتُ الحديث أَنْقَهُه: إذا فَهِمْتَه. ونقه من مرضه نقوهًا[١]: إذا تعافى منه.

ومن الفقه قولهم: قــال فقيه العرب، معناه: عالم العرب[٢]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]، معناه: ليكونوا علماء به.

وقيل: هو معنى زائد عن العلم، وهو الفَهم والفِطْنة. قال أعرابيٌّ لعيســى بن عمر: (شهِدتُ عليك بالفقه)[٣]، والأعرابي لا يعرف العلم. وفي حديث سلمان: أنــه نزل على نبطيَّة بالعراق فقال: هل هنا مكانٌ نظيفٌ أصلي فيه؟ فقالت: طهِّر قلبك وصلِّ حيث شئت، فقال سلمان: فَقِهتِ[٤]، أي: فطنتِ وفَهِمتِ.

قلت: لم أر إسناده، والنبطية لا علمَ عندها يُلْتَمَس، وإنما أراد -إنْ صح-: فَهْمَهَا لُبَّ الصلاة وحقيقتها، وإلا فطهارة المُصَلِّي واجبةٌ.

وقال ابن سِــيْدَه[٥]: وقد غلب على علم الدين لشرفه وسيادته وفضله على سائر أنواع العلم، كما غلب النجم على الثريَّا، والعُود على المَندل.

* * *

---

(١) «أساس البلاغة» للزمخشري ص (٤٧١).
(٢) «الزاهر» (١٠٩/١).
(٣) «صحاح الجوهري» (١١١٨/٦).
(٤) «الصحاح» (١١١٩/٦).
(٥) «المحكم والمحيط الأعظم» (٩٢/٤).

٧٠- قولنا: رجل أوَّاب

فيه سبعة أقوال[١]:

قال قوم: الأوَّاب: الراحم؛ وقال قوم: الأواب التائب؛ وقال سعيد بن المُسَيِّب: الأوَّاب الذي يُذْنِبُ ثم يتوبُ، ثم يُذْنِبُ ثم يتوبُ؛ وقال قتادة: الأوَّاب المطيع؛ وقال بعض أهل العلم: الأوَّاب الذي لا يتكلم حتى يبدأ ببسم الله، ويختم ببسم الله؛ وقال عبيد بن عمير: الأوَّاب الذي يذكر ذنبه في الخلاء، فيستغفر الله منه.

وقال بعض أهل اللغة: الأوَّاب الرجَّاع الذي يرجع إلى التوبة والطاعة، من قولهم: قد آبَ يؤوب أَوْبًا: إذا رجع. قال عز من قائل: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [ق: ٣٢]. وقال عبيد بن الأبرص[٢]:

وكلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَؤُوْبُ وغائِبُ المَوْتِ لا يَؤُوْبُ

أراد: لا يرجع. وقال الآخر[٣]:

رَسٌّ كرسِّ أخي الحُمَّى إذا غَبَرَتْ يومًا تَأَوَّبَهُ مِنْها عَقَابِيْلُ

أراد: عاوده وراجعه. والعقابيل: بقايا المرض.

* * *

(١) «الزاهر» (٢١٥/١) ونقله الأزهري في «تهذيب اللغة» (٦٠٧/١٥).

(٢) «ديوانه» ص (١٣)

(٣) عبدة بن الطبيب كما في «ديوانه» ص (٥٩).

٧١- قولنا: اتَّبَعَ الرجل هواه

قال أهل اللغة: الهوى محبةُ الإنسانِ الشيْءَ، وغلبتُهُ على قلبه. قال تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠]، معناه: وهى النفس عن شهواتها، وما تدعو إليه من معاصي الله عز وجل.

ومتى ذُكر الهوى مطلقًا لم يكن إلا مذمومًا، حتى يوصفَ بما يخالف هذا المعنى كقولهم: هوى حَسَن، وهوىً موافق للصواب، قال الأصمعي[١]: قيل لبعض العرب: إذا أُشكِلَ على الرجل أمران، لا يدري أيهما أرشد، فأيهما يتبع؟ قال: ليخالف أقربهما من هواه، فإن أكثر ما يكون الخطأ باتباع الهوى.

وقال بعض أهل العلم[٢]: إنما سمي الهوى هوى لأنه يهوى بصاحبه في النار، أي يرمي به ويُلقي به. يقال: هوى الرجل يَهْوَى: إذا وقع من فوق إلى أسفل. وأهْوَيْتُه أَهْوِيْهِ: إذا أَلْقَيْتُه إلى أسفل. ويقال: قد أهْوَى بالسيف إليه: إذا أرمي به. والطعنة تهوى: إذا فتحت جرحًا بالدم. وهَوِيْتُ الشيء أَهْوَاه هَوًى: إذا أحببتُه وغلبَ على قلبي.

وقال بعض أهل العلم أيضًا[٣]: إنما سمي الدِرْهَم دِرهَمًا لأنه دارُ هَمّ، والدينار دينارًا: لأنه دار النار، أي تؤدي محبته والحرص على أخذه من غير حق إلى النار.

قلت: وهذا من قبيل طريف الاتفاق، وإلا فالكلمتان أعجميتان.

* * *

---

(١) «الزاهر» (٣٨٨/٢).

(٢) نسب إلى الشعبي في «ذم الهوى» لابن الجوزي ص (١٢).

(٣) انظر «غريب الحديث» لابن قتيبة (١٨٥/٢).

٧٢- قولُنا: فلان كافر

قال أهل اللغـــة[١]: الكافر معناه في كلام العـــرب[٢]: الذي يغطي نعم الله وتوحيـــده، أخذ من قول العرب: قد كفرتُ المتاع في الوعـــاء أَكْفُرُه كُفْرًا: إذا سترتُهُ فيه، ويقال: كَفَرَ السحابُ السماءَ، وليلٌ كافر، لأنه يغطي الأشياء بظلمته، قال لبيد بن ربيعة[٣]:

يعلو طريقَة مَتنِها مُتـــواترٌ ... في ليلةٍ كَفَر النجومَ غَمَامُها

وقال حميد الأرقط[٤]:

فوَرَدتُ قبل انبلاج الفجرِ ... وابنُ ذكـــاء كامنٌ في كفْرِ

وابن ذكاء: الصبح، وذكاء: اسم للشمس.

ويقـــال للزارع: كافر، لأنه إذا ألقى البذر في الأرض غطاه بالتراب، وجمعه كُفَّار، كما في قوله عز وجل: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد: ٢٠]، معناه: أعجب الزُرَّاع نباته، وكافَرَني حقي: أي جحده. وكَفَّر الله عنك خطاياك: أي غطاها وسترها عنك يوم الحساب.

* * *

(١) انظر «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/٩٢).

(٢) «الزاهر» (١/١١٨) و«اللسان» و«التاج» (كفر).

(٣) «ديوانه» ص (٣٠٩).

(٤) نسبا إليه في «اللسان» و«التاج» (كفر) و«إصلاح المنطق» ص (٣٢٦) وإلى بشير بن النكت في «التكملة» (٣/١٩٠) وبلا عزو في «شرح القصائد السبع» ص (٥٦٠).

٧٣- قولُنا: رجل منافق

فيه ثلاثة أقوال متقاربة(١):

قـــال أبو عبيد(٢): إنما قيـــل له منافق لأنه نافق كاليربـــوع، يقال: قد نافق اليربوع: إذا دخل نافِقَاءَه، وهـــو جُحْرُه. وله جحر آخر يقال له القَاصِعَاء، فإذا طُلِب من النافقاء قصع فخرج من القاصعاء ، وإذا طُلِب من القاصعاء نَفَقَ فخرج من النافقاء. قال: فقيل له منافق لأنه يخرج من الإسلام من غير الوجه الذي دخل منه.

وقال قوم(٣): المنافق مأخوذٌ من النافقاء، وهو جحر يخرقه اليربوع في الأرض ويهيل عليه التراب، ثم يدفع التراب برأســـه فيخرج منه. فقيل للمنافق منافق لأنه يضمر غير ما يظهر، بمنزلة النافقاء: ظاهره غير بَيِّنٍ، وباطنه حفرٌ في الأرض.

وقال آخرون: المنافق مأخوذٌ من النَفَق، وهو السَـــرَب، أي يتستر بالإسلام كما يتستر الرجل في السَرَب. قال الله عز وجل: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣٥]، أي سَرَبًا في الأرض، وقال الشاعر(٤):

وإذا اضْطُررتَ إلى لئيم فاتَّخِذ ... نَفَقًـــا كأنَّك خائفٌ مهزومُ

* * *

---

(١) «غريب الحديث» لابن قتيبة (٩٤/١) و«الزاهر» (١٣٢/١).

(٢) في «غريب الحديث» (١٣/٣).

(٣) «الزاهر» (١٣٢/١) و«أساس البلاغة» ص (٤٦٨).

(٤) «الزاهر» (١٣٢/١) بلا عزو.

٧٤- قولنا: رجل مُلْحِد

الملحد معنـــاه في كلام العرب[1]: الجائر عن الحق المائـــل عنه، قال الله عز وجل: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ ([الاعراف: ١٨٠]، معناه: يجورون في أسمائـــه. قال ابن عباس وقتادة[2]: هو اشـــتقاقهم اللات مـــن الله والعُزّى من العزيز.

وإنما قيل للَّحدِ لَحْدٌ لأنه في جانب، ولو كان مستقيمًا غيرَ مائلٍ لقيل له: ضريح.

قال بِشْرُ بن أبي خازم[3]:

ثَوَى في مُلْحَدٍ لابُدَّ منه ... كَفَى بالمـــوتِ نَأْيًا واغْتِرَابًا

وقال طَرَفَةُ[4]:

وأَيْأَسَني من كلِّ خَيْرٍ طَلَبْتُهُ ... كأنّا وَضَعْنَاه إلى رَمْسِ مُلْحَد

ويقال: قد لَحَدْتُ الرجل: إذا أدخلته اللّحْد. ويقال أيضًا: قد أَلْحَدَ الرجلُ ولَحَد: إذا جار وعدل عن السبيل المستقيم.

* * *

(١) «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/٩٦) و«الزاهر» (١/١٤٣).

(٢) «تفسير القرطبي» (٧/٣٢٨).

(٣) «ديوانه» ص (٢٧).

(٤) «ديوانه» ص (٣٣).

٧٥- قولنا: رجل فاسق

قـــال أهل اللغة[١]: الفاســـق معناه في كلام العرب الخـــارج عن الإيمان إلى الكفر، وعن الطاعة إلى المعصية. أخذ من قولهم[٢]: قد فَسَقَت الرُّطَبة: إذا خرجت من قِشْـــرها، ومنه قول الله عز وجل: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهــف: ٥٠]، أي خرج عن أمر ربـــه، وقيل: بل معناه فجَارَ عن أمر ربه، والفاسق: الجائر، قال رؤبة[٣]:

يَهْوِينَ في نَجْدٍ وغَوْرًا غائرًا   فَواسِقًا عن قَصْدِهِ، جَوَائِرَا

والفُوَيْسِقَةُ هي الفأرة، سميت كذلك لِعَبَثِهَا في البيوت[٤].

* * *

(١) «غريب الحديث» (١/٩٣) و«الزاهر» (١/١٢٠) و«اللسان» و«التاج» (فسق).

(٢) «معاني القرآن» للفراء (٢/١٤٧).

(٣) «ديوانه» ص (١٩٠).

(٤) «أساس البلاغة» ص (٣٤١).

٧٦- قولنا: لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً

في الصرف والعدل سبعة أقوال[1]:

قيل: الصَّرْفُ: التوبة، والعَدْل: الفِدْية. وقد رُوي هذا التفسير مرفوعًا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولا يثبت[2]. وبه قال مكحول، وهو قول الأصمعي أيضًا.

وقال يونس بن حبيب: الصرف: الاكتساب، والعدل: الفدية.

وقال أبو عبيدة: الصرف: الحِيْلة. وقال قوم: الصرف: الفريضة، والعدل: التطوع. وقال الحسن: العدل: الفريضة، والصرف: النافلة. وقال قتادة[3] في قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، قال: لو جاءت بكل شيء لم يُقبل منها.

* * *

(١) انظر «غريب الحديث» لأبي عبيد (١٧٦/٣) و«أمثال» أبي عكرمة ص (٨٠) و«النهاية» (١٩٠/٣) و(٢٤/٤) و«الزاهر» (١٤٦/١).

(٢) انظر «تفسير الطبري» (٣٤/٢-٣٥) بتحقيق العلامة محمود محمد شاكر - رحمه الله -.

(٣) «تفسير الطبري» (٢٦٨/١).

٧٧- قولنا: قد نظر في التوراة

قال الفراء: التوراة معناها: الضياء والنور، من قول العرب: قد وَرَيْتُ بك زَنادي أي: أضاءتْ بك زنادي[١]. قال: وأصل التوراة: تَوْرِيَة، على وزن تَفْعِلَة، فصارت الياء ألفًا. ويجوز أن تكون: تَفْعَلَة فيكون أصلها: تَوْرَيَة، فصارت من الكسر إلى الفتح، كما تقول العرب: جارية وجارَاةٌ، وناصية وناصَاةٌ. وأنشد الفراء[٢]:

فما الدنيا بِبَاقَاةٍ لحيٍّ وما حيٌّ على الدُّنيا بباقِ

وقال البصريون: بل التوراة على وزن فَوْعَلَة، وأصلها: وَوْرَيَة. فأبدلوا من الواو الأولى تاء.

قال راقمه: فإن قيل: كيف يستقيم ذلك وهي عِبْرانية قطعًا؟ قيل: هي عبرية لا شكَّ في ذلك، ولكن هذا لا يمنع اشتراك اللغتين في أصل الكلمة واشتقاقها، وهذا واقع في معظم ما اشتركت فيه اللغتان إن لم يكن كله. وإنما يبطل ذلك إذا اتفق الأصلان أو الجِذْران في الرسم دون المعنى، فيكون هذا من باب المتشابه اللفظي لا غير. وهذا يحتاج إلى بحث مفصل. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في تقرير ذلك من تجربته[٣]: (والألفاظ العبرية تقارب العربية بعض المقاربة، كما تتقارب الأسماء في الاشتقاق الأكبر، وقد سمعت ألفاظ التوراة بالعبرية من مسلمة أهل الكتاب فوجدت اللغتين متقاربتين غاية التقارب، حتى صرتُ أفهم كثيرًا من كلامهم العبريِّ بمجرد معرفة العربي. والمعاني الصحيحة [في التوراة] إما مقاربةٌ لمعاني القرآن أو مثلُها أو بعينها، وإن كان في القرآن من الألفاظ والمعاني خصائص عظيمة) اهـ.

---

(١) انظر «مجالس العلماء» ص (١٢١) و«المشكل» ص (١٤٩) و«الزاهر» (١/٧٢) و«تفسير القرطبي» (٤/٥) و«اللسان» (ورى).

(٢) «الإنصاف» ص (٧٥) و«الزاهر» (١/٧٢) بلا عزو.

(٣) في «نقض المنطق» ص (٩٢-٩٣).

٧٨- قولنا: قد نظر في الإنجيل

في معنى «الإنجيل» قولان:

قال جماعةٌ من أهل اللغة: الإنجيل: الأصل[١]. قالوا: فمعنى قولهم: إنجيل أي الأصل للقوم الذين أنزل عليهم، أي: يُحلّون حلاله ويُحَرّمون حرامه ويعملون بما فيه.

قالوا: ويقال: قد نَجَله أبوان كريمان: أي ولده أبوان، ويقال: لعن الله ناجليه: أي أبويه. قال الأعشى[٢]:

أَنْجَبَ أَيّامَ والِداهُ بِهِ ... إذ نَجَلاهُ فنِعْمَ ما نَجَلا

أي: كانا أصلاً له إذ ولداه.

وقال قوم: الإنجيل مأخوذٌ من قول العرب: قد نجلتُ الشيْءَ، إذا استخرجتُه وأظهرتُه. فسُمي الإنجيل إنجيلاً لأن الله أظهره للناس بعد طُمُوسِ الحق ودُرُوسِه وذَهَابِه.

وفي الإنجيل قولٌ ثالث: وهو أن يكون سُمّي كذلك لأنّ الناس اختلفوا فيه وتنازعوا. قال أبو عمرو الشيباني[٣]: التناجُل: التنازع، يقال: قد تناجل القوم إذا تنازعوا واختلفوا. و«إنجيل»: إِفْعِيلٌ. وقرأ الحسن[٤] ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْأَنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣] بفتح الألف، فجعله أعجميًا لأنه ليس في أبنية اللغة اسم على هذا المثال فيُقَاس عليه.

قلت: وكونها مُعرَّبة هو الأقربُ[٥]، ولها أصلٌ في السُّريانية واليونانية؛ وكتاب الله هو الأصل. وتَخْتَصُّ بما أُوحي إلى عيسى ــ عليه السلام ــ.

---

(١) انظر «تفسير غريب القرآن» ص ٣٦ و«الزاهر» (١/٧٣).

(٢) «ديوانه» ص (١٥٧).

(٣) «تهذيب اللغة» (١١/٨٢).

(٤) «المحتسب» (١/١٥٢) و«شواذ القراءات» ص (١٩).

(٥) راجع «النهاية» لابن الأثير (٤/١٣٦) و«المعرب» لابن الجواليقي ص (١٧) و«شفاء الغليل» للخفاجي ص (١١).

٧٩- قولنا: قد نظر في الزَّبور

الزبـــور معناه في كلام العرب: الكتاب[١]. يقال: زَبَرْتُ الكتاب أَزْبُرُه زَبْرًا، وزَبَرْتُه أزْبُره زَبْرًا: إذا كتبته. قال الشاعر[٢]:

عَرَفْتُ الدِّيارَ كرقْمِ الدَّوَاةِ   كما زَبَرَ الكاتب الحِمْيَري

وقال امرؤ القيس[٣]:

لِمَنْ طَلَلٌ أبصرتُهُ فَشَجَاني   كَخَطِّ زَبُورٍ في عَسِيبِ يَمَانِ

والزَّبور يقال في جمعه: زُبُر. قال الله عز وجل: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ [القمر: ٥٢]. وقال الأصمعي[٤]: يقال قد زبرت الكتـــاب: إذا كتبته، وزبرته: إذا قرأته.

وقد غلبت التســمية بالزبــور على كتاب داود - عليه الســلام-، وقال الفيروزابادي: وسُمِّي كتاب داود زبورًا لأنه نزل من السماء مسطورًا[٥]. وقيل: هـــو كل كتاب يصعب الوقوف عليه من الكتب الإلهية. وقرأ ســعيد بن جبير: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ [الأنبيـاء: ١٠٥] وقـــال: الزُّبُـــور: التوراة والإنجيل والقرآن[٦].

* * *

(١) «تفسير غريب القرآن» ص (٣٧) و«الزاهر» (١/٧٤) و«اللسان» و«التاج» (زبر).

(٢) أبو ذؤيب الهذلي كما في «ديوان الهذليين» (١/٦٤).

(٣) «ديوانه» ص (٨٥) و«شرح القصائد السبع» ص (٥٢٦).

(٤) «القلب والإبدال» ص (٥٨) و«الإبدال» (٢/٦).

(٥) في «قصائد ذوي التمييز» (٣/١٦٨).

(٦) راجع: «تاج العروس» (١١/٣٩٩-٤٠٠).

٨٠- قولُنا: اللهم أَوْزِعْنا شكرَك

قال أهل اللغة(١): معناه: اللهم أَلْهِمنا، يقال: أوزعتُ الرجل بالشيء: إذا أغريته بفعله، وأردت منه إتيانه، ويقال: وزعْتُ الرجلَ - بلا ألف - إذا كففتُه وحبسْتُه. قال تعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]، أي يُحْبَسُ أولهم على آخرهم، حتى يدخلوا النار، نعوذ بالله منها. وقال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل: ١٩]، أراد: أَلْهِمْنِي. وقال الشاعر(٢):

أمَّا النهار فلا أُفَتِّرُ ذِكْرَهَا ... والليلُ تُوزِعُنِي بها أحلامي

نجز هذا الكتاب بعون الله الملك الوهَّاب عصرَ الأحد الحادي عشر من شهر محرم الحرام سـنة ستٍّ وعشرين وأربعمائةٍ وألفٍ للهجرة بيد العبد الفقير المعترف بكثرة الخطايا وشدة التقصير الراجي عفو ربه والسلامة محمد بن يسري سلامة.

غفر الإلهُ ذُنوبَ هَذَا السَّاطِرِ ... وذنوبَ قَارِئِـهِ معًا والنَّاظِرِ

* * *

(١) راجع «الزاهر» (٢/٣٩٧) و«الأضداد» ص (١٣٩) و«معترك الأقران» (١/٥٣٩).

(٢) بلا عزو في «الأضداد» ص (١٤٠) و«الزاهر» (٢/٣٩٨).

المحتويات

تم بحمد الله تعالى



دار التوحيد للتراث

اسكندرية . الورديان . بجوار مسجدي
أبي بكر الصديق وناصر السنة
٠١١/٤٠٤٥١٠٥ ٠١٢/٤٠٦٠٠٤٥